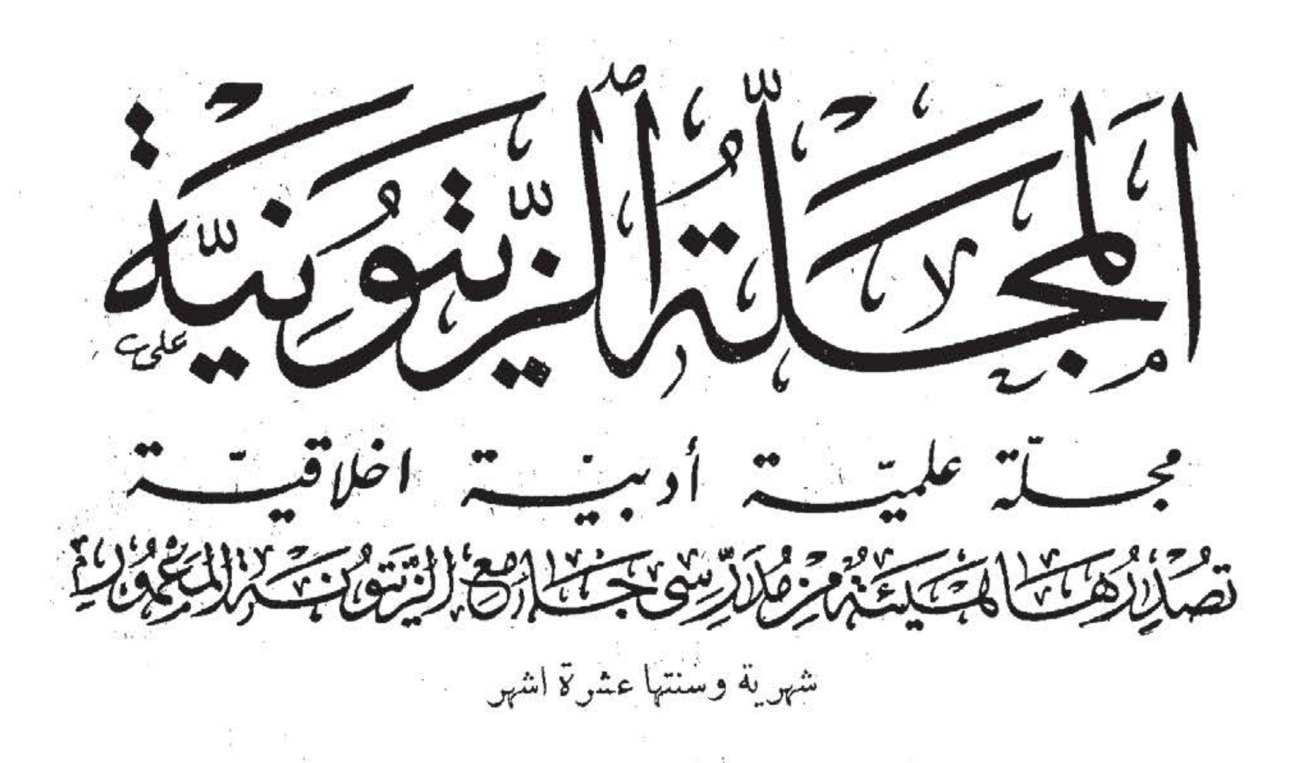


شهرية وسنتها عشرة اشهر

ثمن النسخة ٣ فرنك

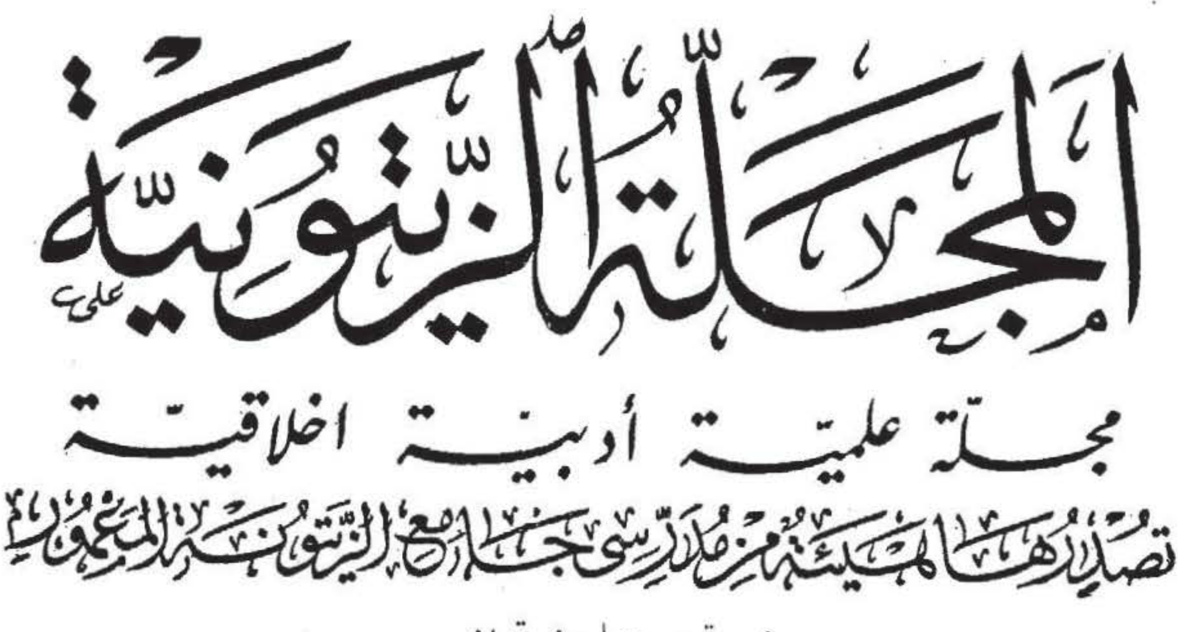
الجزء الثاني	تونس ـ في ذى الحجة الحرام ١٣٥٧ ـ فيفرى ١٩٣٩	المجلد الثالث

المطبعة التونسية ـ نهج سوق البلاط عدد ٥٧ ـ تونس

المجلد الثالث

فهرس العدد

الجزء الثاني



الجزء الثاني	تونس ـ في ذي الحجة الحرام ١٣٥٧ ـ فيفري ١٩٣٩	المجلد الثالث

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

> وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

من تفسير الامام الحجه الشيخ سيدي محمد
الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(ومما رزقناهم ينفقون) صلة ثالثة في وصف المتقين مما يحقق معنى التقوى وصدق الايمان وهو بذل أعز الأشياء على النفس أعني المال في مرضاة الله تعالى لان الايمان لما كان مقره القلب ومترجمه اللسان كان محتاجا الى دلائل صدق صاحبه وهي عظائم الاعمال فمن ذلك التزام ءاثاره في الحضرة والغيبة الدال عليه ـ الذين يؤمنون بالغيب ـ ومن ذلك ملازمة اداء الصلوات لانها دليل على تذكر المؤمن جانب من ءامن به ومن ذلك السخاء ببذل المال للفقراء الذين هم عباد من آمن به

والرزق ما يناله الانسان من موجودات هذا العالم التي يدفع بها ضرورته وحاجته وينال بها ملائمه سواء كانت من الاعيان أم من القيم وأشهر استعماله أو حقيقته بحسب ما رأيت من كلام العرب وموارد القرآن أنه حقيقة فيما يحصل من ذلك للانسان خاصة واما اطلاقه على ما يتناوله الحيوان من المرعى والماء فهو على المجاز كما في قوله تعلى: وما من دابة في الارض الا على الله رزقها. فهو بمنزلة المجاز في قوله تعالى: وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم. والرزق شرعا عند اهل السنة كالرزق لغة اذ الاصل عدم النقل الا لدليل فيصدق اسم الرزق على الحلال والحرام لان صفة الحل والحرمة غير ملتفت اليها في مقام طلب الانفاق وهي تختلف باختلاف احوال التشريع فقد يكون بعض الرزق حلالا في وقت ثم يصير حراما بعده مثل ثمن الخمر قبل تحريم التجارة فيه ومثل بعض صور الربا فالمقصود في الآية انهم ينفقون مما في أيديهم وحال المؤمن لا تحمل الا على الموافق شرعا. وخالفت المعتزلة في ذلك في جملة فروع مسألة خلق المفاسد والشرور وتقديرهما. وهذه المسألة أي مسالة الرزق من المسائل التي فرضت فيها المناظرة بين الاشاعرة والمعتزلة كمسالة الآجال ومسألة السعر. وتمسك المعتزلة في مسألة الرزق بادلة لا تنتج المطلوب. والانفاق في اللغة اعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس وعلى الاهل والعيال من طعام ولباس وفي نفع النفس كالصدقة واريد به هنا بثه في نفع الفقراء وأهل الحاجة وتسديد نوائب المسلمين بقرينة المدح واقترانه بالايمان والصلاة فلا شك أنه هنا خصلة من خصال الايمان الكامل وما هي الا الانفاق في سبيل الخير والمصالح العامة دون الانفاق على النفس والعيال اذ لا يمدح أحد بانفاقه على نفسه وعياله لان ذلك مما تدعو اليه الجبلة فلا تحرض عليه الشريعة ومن المفسرين من أدخل الانفاق على النفس والعيال في ذلك ولا وجه له .

وتقديم المجرور على عامله وهو ينفقون لمجرد الاهتمام بالرزق عند الناس فيكون في التقديم ايذان بانهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس فهو كقوله تعلى ويطعمون الطعام على حبه. وفي الاتيان بمن التي هي للتبعيض ايماء الى كون الانفاق المطلوب شرعا انفاق بعض المال لان الشريعة لم تكلف الناس حرجا وهذا البعض يقل ويتوفر بحسب احوال المنفقين فالواجب منه ما قدرت الشريعة نصبه ومقاديره وما زاد على الواجب لاينضبط. وفي التعبير بالمضارع في ينفقون اشارة الى تكرر ذلك منهم وان ذلك دأبهم وعادتهم .

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) عطف على الذين يؤمنون بالغيب فانه بعد أن اخبر أن القرءان هدى للمتقين المبينين بانهم الذين يؤمنون بالغيب ذكر فريقا ءاخر من المتقين وهم الذين ءامنوا بما أنزل من الكتب قبل النبيء صلى الله عليه وسلم ثم ءامنوا به وهؤلاء هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وهم قد دخلوا في جملة الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة الخ

الا ان لهم خصلة اخرى اوجبت تخصيصهم بالذكر والتنويه بشانهم تلك الخصلة هي انهم لم يسبق لهم كفر فكانوا ممن ءامن مرتين ولما كان قصد تخصيصهم بالذكر يستلزم عطفهم وكان العطف بدون تنبيه على انهم فريق ءاخر قد يوهم ان القرءان لا يهدي الا الذين يؤمنون بما انزل من قبله لان هذه خاتمة الصلات فلا بد من تحققها مع الصلات المتقدمة فلا يكون للذين ءامنـوا بعد الشرك حظ في هذا الثناء وكيف وفيهم خيرة المؤمنين من الصحابة دفع هذا الايهام باعادة الموصول ليؤذن بأن هؤلاء فريق ءاخر غير الفريق الذي اجريت عليهم الصفات الثلاث الاول وبذلك يتبين ان المراد بالموصول وصلاته الثلاث الماضية هم الذين ءامنوا من المشركين من العرب لوجود المقابلة ويكون الموصولان للعهد وعلم ان الذين يؤمنون بما أنزل من قبل هم ايضا يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون علما حاصلا بدلالة تشبه فحوى الخطاب لانهم اجدر بذلك .والانزال جعل الشيء نازلا والنزول هو الانتقال من علو الى سفل وهو حقيقة في انتقال الذات وقد يطلق على انتقال الاوصاف تبعا للذات التي تتصف بها فهو مجاز عقلي ويطلق الانزال ومادة اشتقاقه بوجه المجاز على معان راجعة الى تشبيه فعل بالنزول لاعتبار شرف ورفعة معنوية قال تعلى: يا بني ءادم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم. وقال وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج . لان ذلك الخلق والتقدير لما كان من فعل الله جعل كأنه نازل من علو وشرف . وانزال الوحي الى الانبياء يكون على احد هذين المجازين لانه اما نازل تبعا لنزول الملك ان كان بواسطة الملك فهو نزول معنى تبعا لنزول الذات الحاملة له وما نتنزل الا بامر ربك وان كان وحيا بلا واسطة الملك اوكلاما من وراء حجاب فهو نزول معنوي لكونه بتكوين الله تعلى بوجه خاص فكان منتسبا لجانب رفيع الشان .

واقول ان المراد بما أنزل قبل النبيء عليه السلام وما أنزل اليه هما الشرائع التي سبق نزولها والمقدار الذي تحقق نزوله من شريعة الاسلام قبل نزول هذه الآية فان الثناء على المهتدين انما يكون بانهم حصل منهم ايمان بما نزل لا توقع ايمانهم بما سينزل لان ذلك لا يحتاج الى الذكر اذ من المعلوم ان الذي يؤمن بما أنزل يستمر ايمانه بكل ما ينزل على الرسول لان العناد وعدم الاطمئنان انما يكون في اول الامر فاذا زالا بالايمان أمنوا من الارتداد وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب فالايمان بما سينزل في المستقبل حاصل بفحوى الخطاب وهي الدلالة الاحروية فلا حاجة الى دعوة تغليب الماضي على المستقبل في قوله تعالى أنزل على طريقة صاحب الكشاف وعندي ان فائدة اناطة الايمان بالشيء المنزل من الله دون ان يقال والذين يؤمنون بك من اهل الكتاب الاشارة الى ان هؤلاء هم الذين لا يؤمنون بامور موهومة تصدهم عن اتباع الاسلام كقولهم ان التوراة لا تقبل النسخ وانه يجيء في ءاخر الزمان من عقب اسراءيل من يخلص بني اسراءيل من الاسر والعبودية ونحو ذلك من كل ما لم ينزل في الكتب السابقة ولكنه من الموضوعات او من فاسد

التأويلات ففيه تعريض بغلاة اليهود والنصارى الذين صدهم غلوهم في دينهم وقولهم على الله غير الحق عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

(وبالآخرة هم يوقنون) الواو للعطف لذكر صلة مدح ثانية للذين يؤمنون بما أنزل الى النبيء صلى الله عليه وسلم وبما أنزل من قبله وهي ايمانهم بالآخرة اي اعتقادهم بحياة ثانية بعد هذه الحياة وانما خص هذا الايمان بالذكر عند الثناء عليهم من بين بقية اوصافهم لانه ملاك التقوى والخشية التي جعلوا من موصوفيها لان هذه الاوصاف كلها جارية على ما أجمله الوصف بالمتقين على اختلاف مراتب التقوى فان اليقين بدار الثواب والعقاب هو الذي يوجب الحذر والفكرة فيما ينجي النفس من العقاب وينعمها بالثواب وذلك الذي ساقهم الى الايمان بالنبيء صلى الله عليه وسلم ولان هذا الايمان بالآخرة من مزايا اهل الكتاب . والايقان حصول اليقين في النفس واليقين هو العلم بالشيء عن نظر واستدلال او بعد شك سابق ولا يكون شك الا في امر ذي نظر . وقيل هو العلم الذي لا يقبل الاحتمال وقد يطلق على الظن القوي اطلاقا عرفيا حيث لا يخطر بالبال انه ظن ويشتبه بالعلم الجازم. وفي قوله تعالى بالآخرة هم يوقنون تقديم للمجرور الذي هو معمول يوقنون على عامله وهو تقديم لمجرد الاهتمام بالآخرة على ما اختاره العصام رحمه الله في حاشية تفسير البيضاوي وانا اختار ما ذهب اليه وارى ان في هذا التقديم تعريضا بالثناء على هؤلاء الموقنين بانهم ايقنوا باهم ما يوقن به المؤمن فليس التقديم مفيدا للاختصاص والحصر اذ لا يستقيم معنى الحصر هنا بان يكون المعنى انهم يوقنون بالآخرة دون غيرها وقد تكلف العلامة صاحب الكشاف وشارحوه لافادة الحصر من هذا التقديم بما ليس مناسبا للثناء على الذين اتبعوا الاسلام من اهل الكتاب ببيان ضلال كانوا فيه. وقوله هم يوقنون جاء بصيغة الجملة الاسمية التي خبرها فعل لقصد افادة قصر الافراد لان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي يفيد القصر غالبا وهذا القصر للرد على المشركين الذين يدعون انهم يوقنون بالآخرة فقد كان المشركون فريقين فريق لا يؤمن بالآخرة وهم الدهريون الوارد فيهم قوله تعالى: وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد . وغيره من ءايات القرءان وفريق ءامنوا بالبعث والحشر مثل زهير في قوله يخاطب عبسا وذبيان

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينقم

وكان كثير من العرب يحبسون راحلة الميت الكريم عند قبره حتى تموت جوعا ويقولون انه يحشر راكبا عليها والا يحشر راجلا فقصد بيان ان يقين هؤلاء بالآخرة هو مساو لانكار البعث في عدم ترتب فائدة التقوى والاتعاظ به لانه ايقنوا بالآخرة ايقانا مجملا لم يكسبهم تقوى واما المتبعون للحنيفية في ظنهم مثل أمية بن ابي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل فلم يلتفت اليهم لقلة عددهم او لانهم ملحقون باهل الكتاب لاخذهم عنهم كثيرا من شرائعهم المنسوبة الى ابراهيم عليه السلام وفي كلا التقديمين تعريض بالمشركين الدهريين ونداء على انحطاط عقيدتهم .

الحديث الشريف

اليوم اكملت لكم دينكم

قال البخاري حدثني محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن قيس عن طارق بن شهاب قالت اليهود لعمر انكم تقرءون ءاية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر اني لاعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة وانا والله بعرفة قال سفيان واشك كان يوم الجمعة ام لا اليوم اكملت لكم دينكم

قد تقرر ان هذه الشريعة المباركة معصومة محفوظة من التحريف والتبديل لا تتغير احكامها باختلاف الزمان ولا بتعاقب الاحوال قال تعالى: لا تبديل لكلمات الله. وقال صلى الله عليه وسلم الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة قال ابو اسحق الشاطبي من خواص هذه الشريعة الثبوت من غير زوال فلا تجد فيها بعد كمالها نسخا ولا رفعا لحكم من احكامها لا بحسب عموم المكلفين ولا خصوص بعضهم ولا بحسب زمان دون زمان ولا حال دون حال بل ما كان سببا فهو سبب ابدا لا يرتفع وما كان شرطا فهو ابدا شرط وما كان واجبا فهو واجب ابدا او مندوبا فمندوب وهكذا جميع الاحكام فلا زوال لها ولا تبديل ولو فرض بقاء التكليف الى غير نهاية لكانت احكامها كذلك

ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد كتابكم كتاب ولا بعد سنتكم سنة ولا بعد امتكم امة الا وان الحلال ما احل الله في كتابه على لسان نبيه حلال الى يوم القيامة الا وان الحرام ماحرم الله في كتابه على لسان نبيه حرام الى يوم القيامة

ومن كلامه الذي عني به العلماء وكان يعجب مالكا جدا قوله : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها من عمل بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا. والمراد بسنة ولاة الامر سنة الخلفاء الراشدين كما جاء مفسرا في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه مرفوعا للنبيء صلى الله عليه

هذا درس ختم الحديث الشريف الذي القاه صاحب الفضيلة العلم الهمام شيخ الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف ابقاه الله يوم ١٧ رمضان عام ١٣٥٧ بجامع حمودة باشا المرادي وقد حضره الامير الجليل سيدنا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ورجال دولته الفخام حسب عادته السنوية

وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد واياكم ومحدثات الامور . وانما قرن سنتهم بسنته لانهم رضي الله عنهم فيما سنوه اما متبعون لسنة النبيء صلى الله عليه وسلم واما لما فهموه من سنه صلى الله عليه وسلم وان كان على وجه يخفى على غيرهم لا ثالث لهذين الاحتمالين وبالجملة فاحكام هذه الشريعة بعد كمالها ابدية مستمرة في جميع الاحوال والاطوار وان زاعم التبديل او التجديد منحرف عن الجادة الى بنيات الطريق

ولقد تمالأت الادلة على عصمة هذه الشريعة وحفظها تصريحا وتلويحا منها قوله تعالى : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون. نزلت هذه الآية ردا على قول المشركين يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون استهزاء وانكارا للوحي صريحا ولحفظه استلزاما فرد الله عليهم بان المنزل للذكر تحقيقا على القطع والبتات هو الله تعالى وانه هو المتولي حفظه . لذاك ترى كلا من طرفي او جملتي الرد مقترنا او مقترنة باداة التوكيد المزدوج استقصاء في الرد عليهم من جهتي الصراحة والاستلزام وقطعا لما خامر اوهامهم الفاسدة من الطمع في عدم الحفظ وطرو التغيير. والسنة وان لم تذكر فما هي الا وحي يوحى وهي مع ذلك مبينة للكتاب ودائرة حوله فهي منه واليه ترجع في مواردها ومعانيها كما قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم. والتبيين اما بالنص على المقصود او بما يرشد الى ما يدل عليه بطريق الاجتهاد

وقد قيض الله تعالى لعموم الكتاب والسنة رجالا احكموا اصولها وحرروا معاقدها وفصولها وسادة يناضلون عن الدين بما أوتوا من الحكمة والعلم بموارد الشريعة ومداركها فمهما عارض في الدين من اهل الزيغ والاهواء معارض او جادل بالشبه خصم مناهض غبروا في وجهه بالادلة القاطعة وذلك كله من حفظ الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

ومن اللطائف القرءانية ما حكاه الشاطبي في الموافقات عن ابي عمرو الداني في طبقات القراء عن ابي الحسن المنتاب قال كنت يوما عند القاضي ابي اسحق اسماعيل بن اسحق فقيل له لم جاز التبديل على اهل التوراة ولم يجز على اهل القرءان فقال القاضي قال الله عز وجل في اهل التوراة بما استحفظوا من كتاب الله فوكل الحفظ اليهم فجاز التبديل عليهم وقال في القرءان انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلم يجز التبديل فمضيت الى ابي عبد الله المحاسبي فذكرت له الحكاية فقال ما سمعت كلاما احسن من هذا اه.

وبمثل ذلك صرح صاحب الكشاف في تأويل الآية فقال وهو حافظه في كل وقت بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرءان الى غير حفظه اه.

قلت وصاحب الكشاف وان كان متأخرا لكن التنبه الى هذه اللطيفة الشريفة من الفريقين كيفما

كان على وجه الاستباق او توارد الخواطر فان المرجع في استمدادها قوله تعالى فالله خير حفظا كما لا يخفى .

ومنها قوله تعالى: آلر كتاب أحكمت ءاياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . احكمت ءاياته اي نظمت نظما رصينا محكما لا اخلال فيه لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ثم فصلت ءاياته فصولا سورة سورة او ءاية ءاية او فصلت بدلائل التوحيد وفوائد المواعظ والاخبار تشبيها لها بالعقد المفصل بفرائد اللئالي على طريق الاستعارة وثم للتراخي في الرتبة لان التفصيل بعد الاحكام او للتراخي في الاخبار اعتبارا ان انقضاء اللفظ الاول ينزله منزلة المتباعد على وزان الاشارة للمنقضي بصيغة البعد كما في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله من لدن حكيم خبير تقرير لاحكام الآيات وتفصيلها على اكمل ما ينبغي كما تشعر به صيغة المبالغة وهو صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر وفي الكشاف اوصلة لاحكمت وفصلت لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير قال وفيه طباق حسن اي لف ونشر مرتب مبني كما ترى على تعلق الظرف بالفعلين معا على التوزيع لا على طريق التنازع وهو تاويل وجيه للغاية يعرفنا ان منع توارد العاملين على معمول واحد اغلبي او مخصوص بما لم يكن على التوزيع لتنزيل التوزيع معنى منزلة التفريق لفظا واتصال كل من القيدين بعامله المتعلق به على ان تعليل المنع باجتماع مؤثرين ربما لا يسلم في الاحكام اللفظية والاعتبارات الاصطلاحية بل يحقق لنا قولهم في المثل اضعف من حجة نحوي ولا غرو فيما توخاه صاحب الكشاف هنا فقد صرح في غير هذه الآية بان ذلك من باب الميل الى جانب المعنى وان العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا وان كان على خلاف ظواهر الالفاظ

وليس المراد بالطباق المطابقة وهي المقابلة بين الاوصاف المتنافية كالخفة والثقل في حديث الكلمتين الحبيبتين الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ثم ان وصف الكتاب بكون ءاياته احكمها حكيم وفصلها خبير يشعر اشعارا جليا بحفظه وعدم تغييره

ومنها قوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فنفى عن الكتاب العوج باخلال في اللفظ وتناف في المعنى او بانحراف عن الدعوة الى الحق واثبت كونه قيما اي مستقيما معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال ولا شك أن وصف الكتاب بما يقتضي الكمال والتكميل يدل دلالة ظاهرة على الحفظ وعدم الزيادة والنقص كوصف الدين بالاكمال في ءاية الباب وهي قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا

والمراد بالاكمال إكمال الاحكام أصولا وفروعا بالمنصوص عليه وكليات التشريع الراجعة الى ذلك الاصل العظيم الذي يعبر عنه علماء مصر والاندلس وشمال افريقيا بالمصلحة والمفسدة وعلماء

الشام والعراقين بالحسن والقبح لا بالمعنى المختلف فيه بل باحد المعنيين العقليين بالاتفاق أعني كون الفعل ملائما او غير ملائم أو كونه صفة كمال أو نقص وذلك مساو لكونه مصلحة او مفسدة كما لا يخفى وبتلك الكليات المستفادة من موارد الشريعة ومصادرها تتجلى أحكام غير المنصوص من الحوادث المتجددة بواسطة الاجتهاد الماذون فيه بالكتاب والسنة فبالمنصوص وكمال الكليات وقواعد الاجتهاد حصل كمال احكام الدين كليه وجزئيه واندفع ما عسى ان يختلج ببعض الاذهان وهو ان من الوقائع ما لم يكن منصوصا عليه في الكتاب والسنة بل ما من حادثة الا ولها في الشريعة حكم اما منصوص او مقيس على المنصوص لا سائبة في الاسلام

والمراد باليوم الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كلفظ الآن وقيل يوم نزول الآية وهما متقاربان وربما استشكل تقييد الاكمال باليوم على المعنيين لانه يقتضي نقصان الدين الذي كان عليه المسلمون قبل ذلك اليوم وللمفسرين في الاحتراز عن هذا الاستشكال وجوه المختار منها ما ذكره القفال وحاصله بايضاح ان الدين المكلف به لم يكن ناقصا البتة بل هو كامل في كل وقت من مبدا البعثة الى يوم نزول الآية غير أن كماله المذكور في الآية كمال حقيقي اذ لم ينزل بعد هذه الآية شيء من أحكام الحلال والحرام وفي اثناء البعثة كمال نسبي بحسب الزمان لوقوع التدريج في المشروعية على حسب الحوادث حكمة من الله وعلما فمجموع الاحكام في كل وقت هو الدين كله في ذلك الوقت الى وقت نزول الآية ففيه تمت الاحكام التي اراد الله بقاءها ما دامت السماوات والارض

وفي التنصيص على إكمال الدين مع مساق الامتنان تعريض بأن النبيء صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أمر بتبليغه ولم يكتم شيئا مما أمر بتبليغه وقالت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها من زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد أعظم الفرية على الله والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس . أي بلغ جميع ما أنزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل اي وان لم تبلغ ما أنزل اليك فما بلغت ما ارسلت به . وظاهر اللفظ ان الجزاء هو الشرط اي وان لم تبلغ لم تبلغ وهما متحدان معنى كاتحاد المبتدأ والخبر في قول ابي النجم : انا ابو النجم وشعري شعري

والتحقيق أن مضمون الشرط هو نفي تبليغ البعض ومضمون الجزاء هو نفي أصل التبليغ وهما متغايران في المعنى أي وان لم تبلغ بعض ما أنت مأمور بتبليغه ولو كلمة واحدة فما بلغت حينئذ الرسالة ولا اديت شيئا منها وهذا التحقيق وان حصلت به المغايرة بين الشرط والجزاء لم يزل محل نظر وموضع تامل من جهة انعقاد الجزاء وهو نفي اصل التبليغ بالشرط الذي هو عدم تبليغ البعض وترتبه عليه مع ان السلب الجزئي لا يستلزم السلب الكلي وبعبارة من ترك البعض لا يقال انه ترك الكل وفي ذلك نظران النظر الاول ان ترتب نفي اصل التبليغ على عدم تبليغ البعض حقيقي باعتبار

ان مجموع الرسالة شيء واحد فكتمان البعض في المستقبل يضيع ما أدي منها في الماضي كالصلاة اذا ترك بعض أركانها أو تخلف شرط من شروطها فانها تبطل من أصلها ولا يعتد بشيء مما ادي منها

النظر الثاني أن الترتب مجازي على وجه المبالغة بابراز الكلام في معرض التسوية بين كتمان البعض وكتمان الكل في عدم الاداء او المؤاخذة تهويلا لشلن كتمان البعض على شاكلة فكأنما قتل الناس جميعا هكذا ينبغي تقرير كلام المفسرين في هذه الآية

وحكى القاضي ابو عبد الله المقري في الجزء الذي الفه في ترجمة شيوخه ومن اجتمع به في رحلته انه لما نزل بظاهر قسنطينة تلقاه رجل من الطلبة فسأله عن هذه الآية وان لم تفعل فما بلغت رسالته فان ظاهرها ان الجزاء هو الشرط وذلك غير مفيد واجابه بان المعنى وان لم تبلغ في المستقبل لم ينفعك تبليغك في الماضي لارتباط اول الرسالة بئاخرها كالصلاة ونحوها فعبر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه وهو تبليغ الجميع قال ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بوقير بتونس فسالته عن ذلك فلم يزد على أن قال هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله وقد علمتم ما قال الشيخ تقي الدين قال المقري وكلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن الآية اي لان ما قاله تقي الدين هو حصول المغايرة بتقدير قيد في كل من جملتي الشرط والجزاء أي فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا ولا شك ان هذا التقدير غير ميسور في الآية لذلك قال المقري ان كلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن الآية . ولعل ابن عبد السلام لم يرد خصوص التقدير الذي في الحديث بل اراد مجرد التنبيه على تقدير قيد مناسب تحصل به المغايرة ايضا

وفي الحديث وجوه أخر منها أن التغاير في المعنى لا بتقدير قيد في جملة الجزاء بل بالاحالة على الوصف المفهوم من السياق والمعهود الذي استقر في النفوس اشعارا بان ذلك الوصف الذي به التغاير من اللوازم الغنية عن التصريح اي فهجرته هي الهجرة المطلوبة او المعتد بها شرعا مثلا وشعري المعهود الذي اشتهرت بلاغته اشتهارا لا خفاء فيه ومنها ان الجزاء المذكور جار على اقامة السبب مقام المسبب الذي هو الجزاء في الحقيقة والمعنى فهجرته مقبولة او مشروعة لانها لله ورسوله وكل من الوجهين يمكن اجراؤه في الآية على ضعف لا يخفى على الناقد البصير

وتأمل ايها الباحث عن محاسن البيان ولطائف الاسلوب الحكيم لترى كيف ذكر الشرط في الآية بغير عنوان الجزاء فقيل وان لم تفعل بدل وان لم تبلغ اشعارا بالمغايرة في المعنى على ضرب من التاويل

هذا وقد أخرج البخاري هنا في كتاب التفسير الاثر المروي عن عمر رضي الله عنه بلفظ قالت اليهود لعمر انكم تقرءون ءاية الخ وفي المغازي ان ناسا من اليهود وهاتان الروايتان متساويتان وفي كتاب الايمان ان رجلا من اليهود قال لعمر رضي الله عنه ءاية في كتابكم تقرءونها لو علينا نزلت

لاتخذنا ذلك اليوم عيدا أي لعظمناه وجعلناه عيدا في كل سنة قال اي ءاية قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا. قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبيء صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة

وهذا الرجل كما في كثير من الروايات هو كعب الاحبار واطلق عليه الوصف المذكور اما لان سؤاله كان قبل اسلامه فأنه أسلم في خلافة عمر أو على طريق المجاز باعتبار ما مضى والجمع بين رواية كون السائل واحدا ورواية كونه جماعة هو أن السائل في الواقع جماعة وتكلم كعب بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن غيره

ولا خلاف بين المحدثين في أن الوارد في الاثر ان يوم نزولها هو يوم عرفة أي في حجة الوداع سنة عشر وجمهور المحدثين على أنه يوم الجمعة وهو الصحيح الذي عليه غالب الروايات

لا يقال ان الجواب بمعرفة الوقت والمكان لا يطابق السؤال عن جعل اليوم عيدا لانا نقول قد وقع التصريح في كثير من الروايات بان يوم نزولها يوم عيد وفي رواية وكلاهما بحمد الله لنا عيد وفي رواية بلفظ وهما لنا عيدان وفي رواية اخرى في يوم عيدين يوم الجمعة ويوم عرفة

ولا يخفى ان الجواب بذلك ارقى مما يتطلبه السائل لتضمنه انها نزلت في يوم عيدين لا بجعل العباد بل بالوضع الشرعي وذلك من زيادة التفضيل لهذه الامة

وفي كلام بعضهم ان يوم عرفة يسمى عيدا باعتبار انه يعقبه عيد الاضحى واستروح له بما في الصحيح شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة حيث سمي رمضان عيدا لانه يعقبه عيد الفطر وحينئذ ففي يوم نزول الآية ثلاثة اعياد كما قال الشاعر

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعه وجه الحبيب (ونحن نقول) وجه الامير ويوم العيد والجمعة

وانما كان يوم الجمعة عيدا لاختصاصه باحكام ومزايا تنبيء عن تفضيله على سائر ايام الاسبوع اجلها الساعة التي يستجاب فيها الدعاء وفي تعيينها اقوال اصحها او من اصحها ما بين ان يجلس الامام على المنبر إلى ان تنقضي الصلاة كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا وفي حديث ءاخر صححه الحاكم وغيره انها ءاخر ساعة من يوم الجمعة والظاهر انها ساعة لطيفة يختلف وقتها بالنسبة الى كل بلد وكل خطيب فان الشمس لا تتحرك في درجة الا وهي تطلع على قوم وتغيب عن ءاخرين

وفي الحديث الحث في الدعاء على تحري مظان الاجابة من الاوقات الفاضلة والاحوال الشريفة كيوم عرفه ويوم الجمعة وشهر رمضان واثر الصلوات المكتوبة ونحو ذلك قال تعلى وبالاسحار هم يستغفرون وفي الحديث ان الدعاء بين الآذان والاقامة لا يرد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما تاخير يدخر له وفي الحديث اذا سأل احدكم ربه فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،

لا عـزاء بعد ثـلاث

بقلم مولانا شيخ الاسلام المالكي ابقاه الله

تسير على الالسن أقوال تصادف هوى من الناس فتدفعهم الشهوة الى قبولها، ويتلقونها تلقي النفس للمحبوب غير مصغية الى عذولها، ثم تتسع بين العامة قددا، ولا يتطلبون لها سندا، ولربما كانت من قبل ان تتعلق بها الاهواء، عاكفة في حجر الانزواء، وكذلك تراها اذا انصرفت عنها الاهواء، تذهب كما يذهب الغثاء، ولقد يبلغ الغلو في بعض الاحوال فيكسو هذا القبول حلية مشذورة . اذ يجعل تلك الاقوال من السنة المأثورة ، وبهذه العلة كثرت الاحاديث المشتهرة، التي نسبتها الى الرسول الكريم مستنكرة

وفي عداد هذه الاقوال التي راجت كلمة « لا عزاء بعد ثلاث » تناقلها الناس وظنوها من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وفرعوا على هذه النسبة تفاريع واحكاما ، ووقتوا المآتم اوقاتا واياما

وليس هذا القول من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد الغلط في نسبته اليه واضحة سندا ومعنى . اما من جهة السند فهذا كلام لم ينسبه الى رسول الله ولا الى اصحابه احد اذ لا يوجد له ذكر فيما علمنا من كتب الحديث المعدة لاخراج الحديث الضعيف والتنبيه على الاحاديث الموضوعة بله كتب الصحيح والحسن

واما من جهة المعنى فهو غير مستقيم لان العزاء لغة هو الصبر فيصير المعنى لا صبر بعد ثلاث أي ليال وهذا معنى باطل لان الصبر بعد مضي ثلاث ليال اقرب الى الحصول منه عند حلول المصيبة او في اليوم الاول وهكذا ما زادت الايام كان الصبر امكن واقرب وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الصبر عند الصدمة الاولى » يعني الصبر الكامل والا فالصبر مأمور به ومثاب عليه في كل وقت بقدر ما يحمل المصاب نفسه على دفع الجزع والحزن وبقدر ما له من جزع وحزن مدفوعين . فان قيل لعل المراد بقوله لا عزاء بعد ثلاث اي لا ثواب على الصبر بعد ثلاث قلنا هذا لا يستقيم لانه يصير الكلام اغراء بالدوام على الحزن والجزع اذا فاتت ثلاث الليالي قبل ان يحصل الصبر او بعضه مع ان الحزن يعاود الحزين ولو بعد مدة طويلة ولا يملك له دفعا الا بمعاودة الصبر وقد عاود الحزن يعقوب عليه السلام بعد مدة طويلة كما حكى الله عنه بقوله وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم - الى قوله - قال انما اشكو بثي وحزني الى الله، مع انه قد صبر عند الصدمة الاولى اذ قال حين اخبره اولاده بهلاك يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، وقال حين اخبروه باسر بنيامين فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا . فثبت ان المعنى المفاد من كلمة لا عزاء بعد ثلاث معنى باطل .

ولا يصح ان يكون النفي في قولهم لا عزاء بعد ثلاث مرادا به النهي مثل لا وتران في ليلة أي لا تعزوا ولي الميت بعد ثلاث اي النهي عن تذكيره بواجب الصبر وترغيبه فيه بعد مرور ثلاث ليال على موت ميته كما يتوهمه الناس فيسوقون هذا الكلام في هذا الغرض لانه لو كان ذلك المراد منه لقيل « لا تعزية بعد ثلاث » لان الفعل الذي يدل على هذا المعنى هو عزى المشدد يقال عزاه اي جعله ذا عزاء اي صبر مثل سلى فيكون مصدره التعزية مثل التسلية ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية وبذلك يجزم بان لا تصح نسبة هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان فساد المعنى من علامات الوضع فلو كان هذا الكلام قد روي حديثا لعلمنا أنه موضوع فكيف وهو لم يروه أحد وأما ما سرى هذا الكلام الى الاوهام فهو سوء النقل وقلة التمييز فان اصل هذا القول هو كلام مأثور عن الوزير يحي بن خالد البرمكي انه قال « التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة » وهو كلام نفيس مغزاه وجوب المبادرة بالتعزية والتهنئة لان في ايقاعهما بعد ذلك ادخال ضرر على أصحاب المصيبة أو ايذانا بقلة الابتهاج بحصول النعمة لمن حصلت له وليس المراد ترك الامرين بعد ثلاث لان ذلك أشد جفاء فجاء بعض الضعفاء في الادب فحرف لفظ التعزية الى لفظ العزاء وقلب معنى التنبيه على الجفاء فصيره نهيا ثم عبر عنه بصيغة نفي الجنس التي تستعمل في النهي يظن نفسه قد نحى به منحى ايجاز الامثال وما ءافة الاخبار الا رواتها . وقد توهم كثير من الناس في تونس بسبب هذا أن اقامة المأتم للميت ثلاثة أيام هو أمر من السنة أخذا بمفهوم العدد في مقالة « لاعزاء بعد ثلاث » فجعلوه شاهدا شرعيا لبعض عوائدهم اقامة مأتم يوم الدفن والمأتم المسمى بالفرق الاول وهو ثالث يوم ليوم الدفن وابطلوا ما يسمى بالفرق الثاني الذي هو سادس يوم الدفن وما يسمى بالزيارة الذي هو نهاية الاسبوع الثاني ليوم الوفاة ومأتم الاربعين ومأتم غلق العام مع ان هذه العوائد مفعولها ومتروكها لاحظ لها في السنة وما هي الا من العوائد المبتدعة الجارية على احكام البدعة الخمسة وهم وان احسنوا فيما ابطلوه منها فانهم لم يصيبوا في اعتقادان ما استبقوه هو من السنة

هذا ولاكمال الفائدة في هذا الغرض نلم بالمقصد الشرعي في باب التعزية فان من مقاصد الشريعة ابطال ما كان عليه اهل الجاهلية من اظهار الحزن والجزع عند المصيبة ومن التظاهر به والمبالغة فيه والاعانة عليه ولذلك ورد الوعيد الشديد على النياحة وشق الجيوب ولطم الخدود وحثو التراب ورثاثة الحال . وحكمة هذا التشريع الجليل الذي انفرد به الاسلام أن حلول المصائب بالانسان من نواميس هذا العالم وهي من مكاره الدنيا فمن شأنها ان تغم النفس وتفسد المزاج فينشأ عن أعراضها ادواء كثيرة مضرتها على صحة البدن محققة ولذلك كان الجزاء عليها بالثواب الجزيل لان ما يصيب المؤمن من الرزايا يناله عليه الثواب حتى الشوكة يشاكها كما ورد في الصحيح فاذا راض المؤمن نفسه على الصبر

وتلقي المصيبة بالجلد خفف معمولها في صحته ومزاجه واذا بالغ في الحزن وعاوده قوي معمول المصيبة فاشتدت الاعـراض المنهكة للبدن والمسلم مأمور بحفظ بدنه. على ان الجزع لايخفف الرزية فكانت مضرة الحزن خالصة غير مشوبة بمصلحة فلذلك لم يكن في تربيته عذر وكانت مفسدته الخالصة قاضية بحكم التحريم ولم يرخص الا في المقدار الجبلي منه كدمع العين وصعداء النفس وحرم غير الجبلي منه تحريما شديدا كالنياحة والقول وهو دعوى الجاهلية . وفي الحـديث الصحيح ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعـا بـدعوى الجاهلية ولذلك كان اثم من يجدد الحزن لاهل الميت شديدا مثل اللاء يسعفن نساء الميت بالنياحة وبذكر محاسنه وتعظيم رزيته وبعكس ذلك من خفف عن أهل الميت مصيبتهم. ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا من عزى مصابا فله مثل أجره (وهذا الحديث غريب تفرد به علي بن عاصم عن محمد بن سوقة قال الترمذي وقـد نقم على علي بن عاصم وتكلم فيه لاجل هذا الحديث) وفي سنن ابن ماجه والترمذي عن محمد بن عمرو بن حزم مرفوعا « ما من مؤمن يعزي أخـاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيـامة » وفي هذا التشريع حكمة أخرى عائدة الى الخلق وهي الارتياض على تلقي المكاره برباطـة جاش وجلادة حتى لا تذهب حلول المصائب بلب المسلم ولا تملك سائر قلبه فلا يهتدي للخلاص منها سبيلا فـذلك من سمو الاخلاق ولما كان الغالب في الجاهلية ظهور الحزن في النساء خص النساء بالنهي عن ذلك في أحاديث كثيرة لا رخصة في شيء منها لشيء من مظاهر الحزن المتعلقة بالذات من فعل وقول سوى البكاء بلا صوت وفيها رخصة قليلة لما يتعلق باللباس في حديث النهي عن أضعف هـذه الاحوال وهو لبس السواد وترك الزينة وهو ما روي في الموطا وغيره لا يحل لامرأة تـؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا أي اذا كانت عدتهـا بالاشهر وأمـا الحامل فتحد مدة الحمـل لان عدتها وضع حملها وذلك سد لذريعة التزويج في العدة حفظا لحق الميت في اثبات نسبه ورخص النبيء صلى الله عليه وسلم في البكاء بلا صوت مدة ثلاثة ايام ففي كتاب ابي داود عن عبد الله بن جعفر ان رسول الله امهل ءال جعفر بن ابي طالب ثلاثـا ان ياتيهم ثم أتـاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم » . وروي ان الخنساء جاءت المدينة حاجة فدخلت على عـائشة رضي الله عنهـا وعلى الخنساء صدار من شعر أسود وهي حليقة الرأس فقالت لها عائشة اخنـاس قالت لبيك يا اماه قالت اتلبسين الصدار وقد نهي عنه في الاسلام فقالت لم اعلم بنهيه . وبهـذا يعلم ان جميع ما يفعله بعض الناس من تجديد ذكر الاحزان على الاموات والتجمع للبكاء في الاعياد ونحوها من المحرمات شرعا وكذلك الحزن الذي يزعمه العامة في يوم عاشوراء وما يليه حـدادا على الحسين بن علي رضي الله عنهما

قاله محمد الطاهر ابن عاشور

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريف

٨

لبنة التمام

تقدم في السؤال صدر هذا الكتاب ان في الشريعة الاسلامية اصولا وفروعا يظهر منها انها مبنية على ان الدين فوق العقل واخرى يظهر منها العكس . فقد يقول قائل انك لم تستوف الجواب ما دمت لم تبين ذلك فاقول

لم اقف في الشريعة الاسلامية على اصل ولا فرع بني على الاصل الاول ولا الثاني

نعم المسيحيون يزعمون ان الدين فوق العقل وذلك انهم قالوا بالتثليث والحلول والاتحاد واثبات البنوة والابوة للاله تعالى وتقدس . ومنعوا الناس ان يفكروا ان الارض كرية الشكل او تدور حول الشمس . وغير ذلك من عقائد واحكام لاتتوافق والعقل ولا العلم زعما منهم ان الكتاب المقدس نص عليها فمن لم يقل بها كفروه وحرقوه . ولما رأوا قيام البراهين القاطعة على وحدانيته تعالى وانه كان ولا يزال قائما بنفسه قيوما بخلقه مستغنيا عن كل ما سواه قبل المسيح وامه وبعدهما ووقتهما وان كرية الارض امر محسوس الى غير ذلك من ادلة قامت ضدهم عقلا وحسا التجأوا الى القول بان الدين فوق العقل ظنا منهم ان مشكلات الدين المسيحي تنحل بدوس براهين العقل وتزييفها او بالاقل عدم الاعتراف بها . وهيهات ان جيش العقل مضمون له النصر فلا يهزم ولا يزيف والعالم منذ كان لاطاقة له على مقاومته ولا الثورة عليه بل هو خاضع له اتم الخضوع . ولاسيما بعد نضوج العقل وتوطيد اركان الفلسفة في انحاء المعمورة . فأفكار العالم مهما تكثفت بالاوهام وصدئت بالخرافات : فانها بادنى تنبيه تسارع الى التشبث بالعقل وتنجذب اليه بقوة مغناطيسية وتطأطىء الراس لقوته القاهرة للوجود وللوجدان . اما المسلمون فانهم في حل من هذه الاثقال المسيحية كلها

لان الدين هو الذي حرره فكرهم من حملها والدين متعاضد مع العقل والعلم اتم تعاضد لذلك لا يقولون بفوقية الدين على العقل ولا فوقية العقل على الدين لان دينهم لم يكلفهم ان يعتقدوا ما لا يسلمه العقل الصحيح ولم يرض لهم التقليد ولنذكر بعض ما توهمه السائل من تلك الاصول والفروع فاقول :

٥ــا يوهم ان الشرع مبني على ان الدين فوق العقل

اولا ـ لم اقف على ما يوهم ذلك من الاصول الا قول العلماء ان العقل لا يصل الى كنه الذات العلية وصفاتها السنية

والحقيقة ان الــذات العلية وصفاتها السنية فوق (١) مستوى العقول ، فليس للعقل سبيل الى كشف حقيقتها ، وحسبه الاعتراف بالعجز لكونه في عالم الكثافة ، وهو نفسه خلق ضعيف معترف بعجزه عن الوصــول الى ما هو فوق مستواه . والعقل لم يصل الى كل شيء بل لايزال عاجزا عن اشياء من عالمه نفسه ، بل ما جهله منه اعظم مما وصل اليه بمراحل شاسعة ، فقد عجز عن حقيقة الروح وحقيقة نفسه ، ومن عجز عن حقيقة نفسه فكيف يصل الى حقيقة خالقه ، بل هناك اشياء من عالمه هو يراها ويحسها او يشعر بها ولا يدري حقيقتها كالكهرباء فكيف يتطلع الى ما لا مطمع له فيه وليس من عالمه ، وفي الحقيقة لا يتوصل لمعرفة حقيقة الله الا بالعجز عنها كما قال ابو بكر الصديق العجز عن الادراك ادراك

وليس في قواعد العقل ما يحيل عجز العقل عن معرفة حقيقة الله وصفاته لكونه محجوبا عن ذلك كما انه محجوب عن كنه حقيقة السماء وما في النجوم وامور علوية بل امور سفلية في العالم الذي هو في مستواه ومن جنسه

ولكن العقل ايضا لا يحيل الوصول الى ذلك وبالجملة ليس هناك شيء اثبته العقل ونفاه الدين او نفاه الدين واثبته العقل فتعارضا فقدمنا الدين على العقل كما هو موضوع المقام بل هناك شيء لم يصل العقل اليه ووقف عنده حائرا وعذره الدين في حيرته ولم يكلفه الوصول اليه

ثانيا ـ ومن الفروع قول علي كرم الله وجهه لو كان الــدين بالعقل لكان اسفل الخف اولى بالمسح من اعلاه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه

وجوابه ان ليس هناك دليل عقلي او علمي يوجب علينا مسح اسفل الخف فجاء الدين بمسح اعلاه وانما سيدنا علي يرشدنا الى ان الفروع الفقهية لا يتمسك فيها بالقياس مع وجود النص فالقياس حينئذ فاسد الوضع ؛ ذلك ان القياس على الوضوء اقتضى مسح اسفل الخف واعلاه والنص جاء باباحة الاقتصار على اعلاه فقدمنا مقتضى النص على مقتضى القياس وكل منهما دليــل شرعي غير ان القياس مركب من نقل وعقل .

ثــالثا ـ قول ابي حنيفة لو قلت بالراي لاوجبت الغسل من خروج البول المتفق على نجــاسته

---

(١) الفوقية معنوية لا نعلم كنهها

دون المني المختلف فيه ولقلت فيه بالوضوء فقط ولاعطيت الذكر نصف ما يجب للانثى في الارث لانها اضعف منه (٢)

وجوابه انه من نوع ما قبله ايضا وذلك انه قياس على منصوص عارضه نص فعمل بالنص والغي القياس .

ونجيب ابا حنيفة بان المني روعي فيه اللذة التي تعم البدن فوجب تعميم غسل البدن بخلاف البول الذي يتكرر في اليوم مرات .

وان الانثى اعطيت النصف ارثا لمناسبة وظيفتها في المجتمع وهي الامومة اذ ليست مكلفة بالحرب ولا ان تقوم بنفقة الزوج ولا اولادها بل بالعكس كلف غيرها بنفقتها وذلك اقوى من اعتبار ضعفها .

رابعا - اعترض بعض المتفرنجين على حديث اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه ثم لينتزعه فان في احدى جناحيه داء وفي الاخرى شفاء فرد الحديث مع كونه في الصحيح بان الذباب يسقط على النجاسة فينقل ما فيها من جراثيم الامراض فكيف يغمس في الماء ثم يشرب مع ان الواجب طبا التحرز منه كليا .

وجوابه ان هذه فكرة طبية لم تنضج وان وجوب التحرز كليا لم يصل لحد ان يكون يقينيا بل الامتحان العلمي دل على ان في الذباب مادة سامة - يسميها الاطباء مبعد البكتريا - تقتل كثيرا من جراثيم الامراض فلا يبقى لها تاثير في جسم الانسان فاذا سقط الذباب في شراب او طعام والقى الجراثيم من اطرافه فاقرب مبيد لتلك الجراثيم هو مبعد البكتريا الذي يحمله في جوفه قريبا من احد جناحيه ؛ فاذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه بغمسه كله ثم طرحه فذلك كاف لدفع ضرره هكذا قرر بعض الاطباء المصريين في محاضرة القاها بجمعية الهداية بمصر ونقلتها مجلة الاسلام في عدد ١٨ جمادى الاولى عام ١٣٥٥

واقول ايضا ان الحديث لم يوجب غمس الذباب مع الشرب . بل او طرح الشراب كليا لما كان هناك وزر ؛ وانما هو سرف في ماء قد لا تكون له قيمة ؛ وانما الشارع يراعي حال قلة الماء في السفر والصحراء فارشدنا الى المران على الاقتصاد ودفع ما عسى ان يضطر اليه ؛ فالامر للارشاد ؛ بدليل علة الحكم المدلول عليها بفاء السببية فالعلة ليست تعبدية تقتضي الوجوب . وانما هي ارشاد لمن شاء الاقتصاد ودفع الداء بالدواء .

خامسا - ينبغي ان ننبه هنا الى ان ابن خلدون امام التاريخ والفلسفة قال في المقدمة في مواضع : اذا وجد من الوحي ما يتصادم مع العقل يلزم اتهام العقل والايمان بالوحي هـ .

---

(٢) نقله ابن سلطان في المرقاة على المشكاة هـ مؤلف .

فاقول هذا من الامام تجويز عقلي واحتمال فكري ؛ ولم يات بمثال يتحقق فيه ذلك ؛ ولو فرض وجوده فاما ان نجد الوحي احاديا غير متواتر او متواترا ولكن دلالته غير قطعية . فهذا اذا صادم امرا عقليا يقينيا دل الامتحان العقلي على يقينيته هو الذي حكم فيه السلف بالوقف او التفويض وحكم فيه بالتاويل المعتزلة واكثر الاشاعرة ؛ ولذلك اولوا ءايات التشبيه واحاديث الصفات .

والسلف مع تفويضهم او وقفهم لا يردون ما دل عليه صريح العقل القطعي فهم مفوضون لا مقوضون . والدليل العقلي القطعي واجب التسليم عند الجميع غير متهم ؛ ولا اظن ابن خلدون يخالف هذا ؛ وانما محمل كلامه عندي على الدليل العقلي الذي لم يصل لحد القطع ولم يقم اختبار حسي على يقينيته وهذا في مصاف الظنون بل هو ملغى لا اعتبار به امام النصوص الشرعية القطعية بل والظنية فلا يوهنها وهو متهم ساقط امامها .

اما تصادم قاطعين احدهما عقلي والآخر شرعي فهذا ما لا تجده اصلا كما سبق ولا يصح حمل كلام ابن خلدون عليه وان كان ظاهره لانه مستحيل الوجود .

ما يوهم ان الشرع مبني على ان العقل فوق الدين

ان المعتزلة القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين وكثيرا من الاشعرية مصرح بتقديم العقل على النقل اذا كانا قطعيين معا ، وممن صرح بذلك (١) ابو البقاء في ءاخر كلياته قائلا يعتبر النقل من قبيل المتشابه وينسب مثل هذا لامام الحرمين (٢) في الارشاد والغزالي وتلميذه ابن العربي المعافري والامام الرازي واتباعهم . واحتجوا لذلك بان الادلة العقلية قطعية وان النصوص النقلية لا تُفيد (٣) اليقين وتقدم لنا البحث في هذه المسالة والرد عليهم بما يكفي .

---

(١) فهو عكس ابن خلدون

(٢) قد شنع على هؤلاء الامام احمد ابن تيمية في كتابه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول المطبوع بمصر بهامش كتابه منهاج السنة . ولقد سلف مني صدر هذا التحرير اني لم اقف على من صنف في مسالة تعاضد العقل والعلم والدين ولقد اقمت ابحث عمن صنف في ذلك نحو السنتين بعد ما نشرت جريدة السعادة المغربية اصل كتابي هذا ثم وقفت على نص كتاب ابن تيمية المذكور الاول في المكتبة الناصرية بسلا في ربيع النبوي عام ١٣٥٦ ولقد وجدته مجموعا واسعا في مجلدات . ولكنه نحا غير المنحى الذي انتحيته اذ تتبع ادلة علماء الكلام في العقائد ينقضها بناء منه على انها تناقض الكتاب او السنة مع انه لم يظهر وجه التناقض الحقيقي بمعناه الفني وقد توافقنا والحمد لله في المبدإ الذي هو موافقة المعقول للمنقول غير انه سلك طريق ابن خلدون في تقديم المنقول بل زاد ـ هو ولوظنيا فكانه نقض مبرمه وتنبغي مراجعة كتابه ومقابلته مع هذه الرسالة فرب ساقية انفع من بحر ومقرض كتابه يقرئك السلام

(٣) هذه الحجة يتبين منها ان النقل عندهم عن قبيل المظنون والقطعي يقدم على الظني باتفاق فيمكن ان نقول انهم لا يقدمون العقلي على النقلي فالخلاف بيننا وبينهم في حال لانهم يرون أن حال النقلي هو الظن فقط ونحن نرى انه قد يكون قطعيا فتامل ذلك

كما اخذلستهم طريقة المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليين . وهي مسالة طولية اشبع الاصوليون القول فيها بحثا وقتلوها نقدا واوسعوهم تشنيعا بانهم تحكموا على الله في دينه واحكامه ولكن كثير من الاشعرية وقعوا فيها وهم لا يشعرون .

كما وقع المعتزلة في معضلة اعظم وهي انهم مهما توهموا معارضة ما بين نص شرعي ولو قطعيا وبين شبهة عقلية وقع في وهمهم انها قطعية نص على قطعيتها حكيم يوناني او هندي مثلا من غير اختبار ولا امتحان علمي مدقق الا وقلدوه فقالوا بقطعيتها ونبذوا النص بالتاويل ولو بعيدا ان كان متواترا او بتجاهله وانكاره ان كان احادا ولو في اصح الصحيح ووهنوا النصوص حيث زعموا انها لا تفيد يقينا بحال كما سبق وما كان ينبغي ذلك .

لذلك قالوا ان الله لا يرى حتى في الآخرة معتمدين على قول بعض الفلاسفة ان القديم لا يراه الا القديم ، ولا يسمع كلام القديم الا القديم ، وان الرؤية شرطها اللون والجسمية والقرب الحسي وغير ذلك مما هو محال في حقه تعلى وهو معتاد في المرئيات الحادثة . لكنا نقول لهم الى الآن لم تقيموا دليلا قطعيا على ان القديم لا يراه الا القديم ولا يسمعه الا القديم . بربكم بينوا لنا من الذي سمع الشرائع والاوامر والنواهي . وماذا تعملون في قوله تعلى «انما أمرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » فمقالكم هذا هادم للنبوات والاخبار عن الله وشرائعه اذا لم تكن مسموعة متلقاة منه تعلى اذ تصيرونها محل ارتياب ، كما ان ما شرطتموه في الرؤية لم تاتوا عليه ببرهان ، وليس في العقل ما يمنع رؤية الباري او من لم تتوفر فيه شروطكم ، وجريان العادة بها في الحادث لا يوجب القطع باشتراطها في القديم ولا في الحادث اذ كثيرا ما نرى تخلف العادة ،

وقياس القديم على الحادث فاسد وما انصفك من احالك على غائب .

وقالوا ايضا بنفي صفات المعاني كالقدرة والارادة والعلم والكلام والسمع والبصر اعتمادا منهم على ان القديم لا يتعدد وهي قاعدة اخذوها عن اهل الفلسفة وزادوها تعميما فقالوا ولو موصوفا وصفة . وما كان ينبغي لهم زيادة نغمة في طنبور الفلاسفة .

اذ دليل نفي تعدد موصوف وصفة لا يصح ان يسمى دليلا فضلا عن ان يكون قطعيا

والقرءان العظيم اثبت لله بعض صفات المعاني صريحا فقال : انزله بعلمه . وقال : اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي . واثبت بعضها كناية وهي ابلغ نحو قوله تعلى « يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر » وقوله « الم تر انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا »

يتبع

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الوزراء التونسيون

قبل الحماية وبعدها

(٢)

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة

تكلمنا في العدد السابق على نظام الوزراء قبل الحماية واما الوزراء يوم انتصاب الحماية في ١٢ ماي ١٨٨١ (١٣ جمادى الآخرة ١٢٩٨) فهم :

أمير الامراء مصطفى بن اسماعيل	الوزير الاكبر ووزير الخارجية ورئيس الكمسيون المالي
أمير الامراء محمد خزندار	وزير الشورى
أمير الامراء الشيخ عبد العزيز بوعتور	وزير القلم وباش كاتب ووزير الاستشارة
أمير الامراء سليم	وزير الحرب
أمير الامراء أحمد زروق	وزير البحر
أمير الامراء حسين	وزير الاستشارة ومستشار المعارف والنافعة
الشيخ محمود بوخريص	كاهية الباش كاتب (١)

ثم ظهرت في تلك الاثناء أحوال أوجبت اعفاء الوزير حسين من خطة وزير الاستشارة ومن مستشار قسم العلوم والمعاوف ومن المأمورية المنوطة بعهدته بايطاليا وهي محاسبة ورثة القايد نسيم شمامة عن تصرف مورثهم في مالية الدولة التونسية (٢) بصفة قابض عام وكان ذلك في ٢١ رمضان ١٢٩٨ وزيد في النكاية به بعد ذلك فجردوه عن رتبة أمير الامراء في ٢٩ صفر ١٢٩٩ ولكن التونسيين من الخاصة والكافة ما زالوا ينعتونه بالوزير في محرراتهم ومحادثاتهم وبعضهم يجهل وقوع فصله عن خططه وامتيازاته بالدولة . وكان حسين هذا من المماليك القليلين الذين كانت لهم بضاعة في العلم (٣)

(١) هذه الخطة احدثت لاجله ولم تمنح لغيره قبله وبعده قالوا انه وقع احداثها لاغلاق باب المطامع في وجه من كان يتوقع منه المزاحمة للباش كاتب وتوفي الشيخ محمود بوخريص في سنة ١٣٠١

(٢) يستفاد من عبارة مفكرات الوزير خير الدين التي قامت بنشرها في هذه الاثناء مجلة مشيخة قرطجنة ان المال المتخلد بذمة القائد نسيم للدولة التونسية يبلغ العشرين مليونا

(٣) لدينا بعض وثائق تاريخية من انشائه وبخط يده تشهد برسوخ قدمه في الكتابة والخط

اكتسبها من مزاولته لعلوم العربية بمدرسة الهندسة احربية باردو ثم بملازمة استاذه وصاحبه الشيخ محمود قابادو وبمجالسة العلماء من اصدقائه كالمرحوم الشيخ احمد بن الخوجة والمرحوم الشيخ سالم بوحاجب. وقد تضمن أحد كناشات اول هذين الشيخين قصيدة من انشائه في امتداح الوزير حسين عند رجوعه والوزير خير الدين من الاستانة مع الخلعة السلطانية المهداة لسمو الباي اثر ولايته الملك في سنة ١٢٧٦ ومما جاء فيها قوله :

علم تجمل بالديانة والتقى ... وسداد رأي باهر برهانا

يسقي السلافة في كؤوس بيانه ... سحبان منها لم يزل نشوانا

ما تونس الخضراء الا روضة ... قد كان منها الروح والريحانا

وفي مستهل الدولة العلوية وقع ترتيب الخطط الوزيرية على اسلوب جديد موافق لقاعدة الاحتساب والرقابة من السلطة العليا الفرنساوية في تصرفات الوزراء التونسيين بالدولة فالغيت خطة وزير الشورى كما الغيت وزارة الحرب ووزارة البحر القديمتين وأبقيت خطة الوزير الاكبر وخطة الباش كاتب وزير القلم والاستشارة وأسندت الوزارة الخارجية للوزير المقيم وفقا لنص معاهدة باردو وتقلد الجنرال قائد الجيوش الفرنساوية بالعمالة خطة وزير للحربية بالدولة التونسية وفي مدة الوزير المقيم م. فلاندان اعطي لقب وزير البحر بالدولة التونسية للاميرال الوالي البحري ببنزرت . ثم في سنة ١٣٣٨ وقع احداث خطة وزير العدلية التونسية بمساعي الوزير المقيم م. لوسيان سان دبر ذلك سياسة منه على وجه الترضية للفكر العام التونسي الذي كان متطلبا للتفريق بين السلط فكان الوزراء التونسيين من يومئذ ثلاثة : الوزير الاكبر — وزير العدلية — الباش كاتب وزير القلم والاستشارة —

وبالتالي وجد للمرة الاولى في التاريخ التونسي لقب الوزير بالعنوان الشرفي فكان أمير الامراء السيد الطيب الجلولي وزيرا أكبر شرفيا عند استعفائه من الوزارة الكبرى في سنة ١٣٤٠ . وتكرر هذا اللقب بامناحه لغيره من الوزراء المحالين على التقاعد في هذه السنين القريبة وبديهي أن للوزير الاكبر حق الرئاسة على زميليه التونسيين مع الامتياز بحمل نيشان البيت الحسيني وليس لغيره من ابناء البلاد ان يطمع في مد عنقه لتلك النيشان الرفيع الشان وشذ امناح غيره من الوزراء التونسيين نيشان العهد المرصع وهذه القاعدة لم تتخلف في عصر الحماية الا مرتين مرة في مدة المولى علي باي ومرة في سنة ١٣٤٥ على عهد المولى محمد الحبيب باي فقد تفضل به على صاحبنا المرحوم امير الامراء السيد الطاهر خير الدين في السنة المذكورة وبعد ان صار هذا الوزير الفقيد وزيرا شرفيا احسنت له الدولة الفرنساوية بالصنف الاول من (اللجيون دونور) وكان من القدر المقدور أن وصول هذا الوسام العالي لتونس وافق يوم التحاق صاحبه بالدار الآخرة

هذا وللوزراء التونسيين على السواء حق العضوية بمجلس الوزراء وهذا المجلس ليس له قانون

صدر بتأسيسه وانما وجوده مستفاد من أمر ترتيب الميزانية التونسية الاولى في عهد الحماية جمعه الوزير المقيم م. كمبون برءاسته لاول مرة في سنة ١٣٠٠ ولم يكن للدولة التونسيـة مجلس وزراء في عهد الدور القديم وغاية ما هنالك أن سمو الباي كان يجمع مجلسا من أهل شورته في الامور الهامة وربما أضاف لهم بعض أهل العلم فقد أتيح للشيخ أحمد بن الخوجه وللشيخ مصطفى رضوان الحضور في مناسبات كثيرة بمجالس مشورة المشير محمد الصادق باي وكانَ المشير محمد باي لا يبت امرا عظيما في الشئون الخاصة بأهل العلم وما التحق بها الا بعد مراجعة صهره الشيخ محمـد بيرم الرابع وهو الذي أشار عليه بجعل نظام للمحاكم الشرعية ومنشور ترتيبها المعلق بديوان دار الشريعة من انشائه وبديهي ان اهل مشورة سمو الباي هم الوزراء ولكن الوزير الاكبر هو لسان صاحب العرش الحسيـني وهو الـواسطة بين سموه وبين الـدولة وهو الـذي بعهدته عرض الاوراق الرسمية على الطابع السعيد وقراءتها من حقوق الباش كاتب واليك اسماء الذوات الذين باشروا الوزارة الكبرى ووزارة العدلية ووزارة القلم في عصر الحماية من البداية الى هذا اليوم :

الوزارة الكبرى	سنة الولاية	وزارة العدلية	سنة الولاية	وزارة القلم	سنة الولاية
السادة		السادة		السادة	
محمد خزندار	١٢٩٨	الطاهر خير الدين	١٣٣٨	محمد العزيز بوعتور	١٢٨١
محمد العزيز بوعتور	١٣٠٠	علي السقاط	١٣٥٣	محمد الجلولي (١)	١٣٠٠
محمد الجلولي	١٣٢٥	سالم الصنادلي	١٣٥٤	يوسف جعيط	١٣٢٥
يوسف جعيط	١٣٢٦	عبد الجليل الزاوش	١٣٥٥	الطيب الجلولي	١٣٢٦
الطيب الجلولي	١٣٣٣			مصطفى دنقزلي(٢)	١٣٣٣
مصطفى دنقزلي	١٣٤٠			خليل بوحاجب	١٣٤٠
خليل بوحاجب	١٣٤٥			الهادي الاخوة	١٣٤٥
الهادي الاخوة	١٣٥٠			يونس حجوج	١٣٥٠
				علي السقاط	١٣٥٤
				عبدالجليل الزاوش ٣	١٣٥٤
				احمد بن الرايس	١٣٥٥

(١) هو اول من تولى خطة الباش كاتب من غير اهل الطبقة العلمية وقع اختياره من طبقة كبار العمال لانه ابلى البلاء الحسن بالاعانة على تمهيد الراحة بجهة صفاقس اثناء احتـلال عساكر فرنسا لتونس ومن مزاياه السعي والحصول على تخفيض الغرامة الحربية المضروبة على صفاقس من عشرة الى ستة ملايين وعلى قياسه استمر في هذا الزمان انتخاب وزير القلم من طبقة كبار أصحاب الوظائف المخزنية

(٢) محرز على شهادة العالمية في اللغة الفرنسوية

(٣) محرز على شهادة الليصانصية في الحقوق

واعلم ان الاعيان الذين تقدموا لخطة الوزارة ابتداء من سنة ١٣٢٦ كلهم من خريجي المدارس العصرية وأغلبهم من قدماء تلامذة المدرسة الصادقية. ولقد صرح الوزير المقيم م. الابتيت عند حضور السيد مصطفى دنقزلي لاول مرة بمجلس الوزراء أن معرفة اللغة الفرنساوية ستكون في المستقبل هي القاعدة عند تسمية الوزراء التونسيين وهذا القيد هو الذي منع بعض كبار المتوظفين ممن لا يحسنون الفرنساوية من التقدم لخطة الوزارة وكل ميسر لما خلق له

ثم اعلم ان الوزير محمد خزندار الذي هو أول من تولى الوزارة الكبرى بعد نصب الحماية لم يتقلب أحد أكثر منه في الوزارات بالدولة الحسينية منذ بدايتها الى هذا اليوم فقد باشر كل الوزارات عدا وزارة القلم فكان في أوقات مختلفة وزيرا أكبر ووزيرا للعمالة ووزيرا للخارجية ووزيرا للحربية ووزيرا للبحرية ووزيرا للشورى وسفيرا في مأموريات جليلة لدى الباب العالي وبعض الدول الاروباوية وباشر مع ذلك رئاسة كمسيون المالية واشتهر بين أهل عصره بلقب قائد سوسة لما أبقى ببلاد الساحل من الذكر الجميل أثناء ولايته عليها بعد الايام المظلمة التي عرفها أهل الساحل اثناء نزول محلة احمد زروق بديارهم وأما لقب الخزندار المضاف لاسمه فانه انجر له من متبوعه الوزير شاكير صاحب الطابع المباشر اذاك لخطة خزندار فغلب عليه لقب سيده شاكير ولقد داخله الحسد ضد تابعه وهو من صنائعه فحاول الفتك به لولا تأخير أجله وذلك هو سبب سقوط احدى رجليه وكان محبا في ءال البيت الاطهار وتشرف بمصاهرتهم وخدم من الملوك المولى حسين باي الثاني والمولى مصطفى باي والمشير أحمد باي والمشير محمد باي والمشير محمد الصادق باي والمولى علي باي ومات في سنة ١٣٠٦ من دون عقب بعد أن أطل على التسعين ودفن بمقابر الاشراف بوصاية منه ولولا ذلك لكان مثواه بالتربة الملكية كأسلافه السابقين واللاحقين ولما تخلى عن الوزراة الكبرى في سنة ١٢٩٥ بعد ولايته الاولى (١) منحه سمو الباي جراية عمرية قدرها ستون الف ريال في العام

(١) ننقل هنا نص الظهير الصادر بولايته الوزارة الكبرى وهذا النص بعينه هو المعمول به نحو كل من يتولى الصدارة بتونس :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله أعماله وبلغه من غاية الخير ءاماله أما بعد فاننا أصدرنا هذا الظهير والخطاب الذي هو بكل مكرمة أثير الى الخاصة والجمهور ليعلموا ان الصدر الهمام عضد دولتنا ويمين مملكتنا امير الامراء ابننا محمد لما تحققناه بالعيان من أمانته واصابته الغنيتين عن البرهان ونصيحته المعتد بها في هذا الشان قدمناه على بركة الله تعالى واوليناه وزيرا اكبر بدولتنا التونسية يباشر سائر شئونها المعتادة وامورها على العادة وعلى من يقف على هذا الظهير الجليل من اهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية وابنائنا امراء الامراء اعيان الكبراء وامراء الالوية وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والبينباشية وكافة الجنود العسكرية والقواد والمخازنية ان يعلموا ما لابننا المذكور من المفاخر التي هو بها حقيق والمعالي التي هو بنيلها خليق ونستوهب له من الله كمال الاعانة والتوفيق الى مناهج الرشاد ومحاسن كل طريق وكتب بسراية حلق الوادي في ١١ رجب ١٢٩٤ اهـ

ولم يعط سلفه الوزير خير الدين أكثر من خمسين الف ريال في السنة كانت جارية له الى حضور أجله بالاستانة في سنة ١٣٠٧ (١)

واما طريقة تعيين من يدعوه حسن الحظ لخطة الوزارة فان ذلك يقع باتفاق بين سمو الباي المعظم وبين دولة الحماية واختيارهما في ذلك يكون رهين الظروف والاحوال ولقد اتفق مرة تكرر المراجعة اياما عند اختيار بعض الوزراء في عهد المولى محمد الناصر باي فتدخل مسيو روا كاتب الدولة العام وحصل الوفاق واتفق لبعضهم مدّ اعناقهم للوزارة واطلوا عليها من نافذة السياسة فخابت ءامالهم وذهبت مساعيهم ادراج الرياح وءاخرون سعوا لنوالها وتهافتوا وطاروا حول فانوسها كالفراش فاحترقت اجنحتهم ووقعوا في الحضيض ولله در الشاعر حيث قال

على قدر الكساء امد رجلي وان طال الكساء امد اخرى

وبديهي أن خطة الوزير التونسي في عصر الحماية لا شبه لها بخطة سالفه في زمن الدور القديم فوزراء الدور الماضي كانوا خاضعين للحكم المطلق وكان اكثرهم مفقود التربية العلمية ووزراء هذا العصر أكثرهم من أهل الثقافة العصرية ونشأوا تحت جناح الحكم القانوني في دائرة العدالة والنظام والذي رسم لهم خط السير هو الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور صاحب المواهب النادرة والرأي الحصيف فقد بقي متربعا على منصة الوزارة الكبرى مدة ربع قرن وكان مع ذلك محرزا على صفتين حميدتين قل ان يجتمعا في رأس واحد وهما ذكاء اياس وصبر أيوب قال م. ماز من أعضاء مجلس الشيوخ في خطاب تاريخي القاه بتونس سنة ١٨٩٠ : « ان هذا الوزير جدير بالترأس على اية وزارة اروباوية » ناهيك انه قضى خمسة وعشرين عاما في الصدارة كان اثناءها من انصار أهل العلم ومثال الفضل والمروءة والحذق والاستقامة وكان ءاخر عهده بالدنيا شهادة اخلاص منه لصاحب العرش الحسيني خطها بيده الفانية قبل وفاته بساعتين في غرة المحرم ١٣٢٥ وبعث بها للمولى محمد الناصر باي وكان مع ذلك صادق الولاء للحماية لعلمه أن من معانيها طاعة متبوعه المعظم مع الاخلاص والرسوخ فيه لسدته العلية وللدولة الفرنساوية ومن عرف قدر الناس عرف الناس قدره

محمد بن الخوجة

---

(١) عند ارتقائه لمسند الصدارة العظمى بالدولة العثمانية وجه تلغرافا لسمو الباي في الاعلام بذلك وفي طلب ابقاء جرايته العمرية ونص التلغراف : قد شملتني عواطف الحضرة السلطانية باحالة رتبة الصدارة الى هذا العبد العاجز وبتوفيقه تعلى وقعت المباشرة لاجراء امورها التي نحن موكلون عليها ونرجو من الله تعالى الاعانة في الامور كلها كما نطلب من مكارم اخلاقكم ابقاء توجيهاتكم السنية حيث اني نعدها من أهم الامور وعلى كل حال النظر لسيدي وكتب في ١٠ حجة ١٢٩٥ اه. قلت ان من اهم الاسباب في ولايته الصدارة العظمى كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لان السلطان عبد الحميد خان لما وقف عليه أعجب به أيما اعجاب

جامع الزيتونة

يؤدي رسالة الدين الاسلامي منذ ١٢٤٣ عاما

طرائف من حديث شائق لامير اللواء حسن حسني عبد الوهاب ممثل الشمال الافريقي في مجمع اللغة العربية الملكي قدكان افضى بها لمحرر جريدة الجهاد الغراء

لا خلاف اننا في مصر - وبخاصة منا اولئك الذين يصلون انفسهم بالدراسات الازهرية عن طريق التعليم في الازهر ، او التحصيل فيه او الكتابة عنه - حقيقيون ان نتأثر خطوات - الزيتونيين . الذين يقومون في الجانب الغربي من الشمال الافريقي على ما يقوم عليه الازهريون هنا من تعريف ثقافة الاسلام ، ومن قيادة الشعب قيادة دينية موفقة .

وما أحسب القراء اذ يستوعبون هذا الفصل بمنصرفين عنه وفي اطوائهم قليل او كثير من الاسف ، لانهم سينصرفون الى جمهرة من الطرائف التي تستطيع وحدها ان تهيء لهم ساعة ممتعة سارة يدركون فيها حقائق ما اعتقد انهم - كلهم - قد الموا بها من قبل ، لانها - فيما يخيل لي - اول ما يذاع من نوعه في صحيفة في مصر

سفير تونس

والواقع انه يطيب لي ان اعترف الآن بمصدر هذه الحقائق ، او هذه الطرائف ، فاقول انها بعض ما كان من احاديث تلقفتها من صاحب السعادة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا امير اللواء وحاكم الاقليم الجنوبي في تونس ، وممثل الشمالي الافريقي في مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة

والحق ان عبد الوهاب باشا يؤدي مهمة السفير التونسي مرحلة اقامته على ضفاف النيل ، لانه يدعو لوطنه دعاية تضفي على المصريين اثواب التطلع اليه ، والتأمل فيه ، والرجل على هذا كله قد تخصص في التاريخ فهو يتحدث عن مراحل وطنه بلسانه الذرب وكأنه يطلق عقالها من كتاب منشور فهو اذن مصدر هذا الفصل الشائق الممتع .

قبل ان نعرف الازهر

اننا في مصر نتهيأ لاستقبال العيد الالفي للازهر بعد اعوام ، وما يضيره في قليل او كثير ان يكون في العالم الاسلامي مسجد اخر سبق الازهر الى ما اصبح على الزمن محض اختصاصه ، فاذا شاء المؤرخون للازهر ان يذكروا العوامل التي دفعت الفاطميين الى تشييد - الجامع الازهر - والى تزويده فيما بعد ذلك بالمجاورين يطلبون العلم ، فلا تثريب عليهم ان يذكروا - جامع الزيتونة - وان يقولوا عنه انه كان اقوى تلك العوامل واجزلها تأثيرا على الفاطميين ، ، ذلك ان - جامع الزيتونة - في تونس كان معروفا قبل ان يستقيم على اديم القاهرة ظل الازهر الشريف

ففي عام ١١٤ هجرية - وكان العالم الاسلامي الا قليلا من شعوبه يخضع لحكم الامويين - ولى الامر على افريقيا - وهي مجموعة الدول القائمة في الشمال الافريقي - عبد الله بن الحبحاب بعد ان كان واليا على مصر باسم الامويين ايضا . . .

وكان - ابن الحبحاب - من اولئك الولاة الذين يعنون بالعلم عنايتهم بتوضيح الطابع العمراني على البلد الذي تنتهي مقاليد الحكم فيه اليهم . ومن هنا اخذ يخضع العاصمة الافريقية لمزاجه فزودها بكثير من ءاثار إنتاجه . وكان - جامع الزيتونة - اكثرها روعة وأجزلها خلودا

على مذهب مالك

وأخذ التونسيون المتشوفون الى علوم الدين ينفذون الى جامع الزيتونة من بابه المتأنق الى مقصوراته ذات العمد القائمة تحت سقفه شواهد على دقة الفن بعد أن تأخذهم روعة مأذنته السامقة أخذوا يقتعدون اديم الجامع مستمعين الى دروس الفقه في مذهب مالك الذي بقي حتى الآن على عهدة مذهب جمهور الشعب . وان كان المذهب الحنفي هو الذي يسعى في ظله عظمة الباي

وكان العالم الثبت - علي بن زياد التونسي - هو أول من عرف التونسيين بمذهب - الامام مالك - في الفقه لانه كان معاصرا له ولانه كان اعرف اهل جيله بكتاب - الموطأ - الذي يعتبر بحق اخصب ما انتجه الامام مالك العظيم . ولقد أقرأ ابن زياد كتاب الموطأ في الزيتونة (١)

اعلام نابهون

والحق ان جامع الزيتونة في مقدوره ان يزهو بعديد من الاسماء الكبار الضخام التي بقيت حتى الآن موضع اجلال الفاقهين علوم الدين واللغة والاجتماع والمنطق . فاذا نحن تركنا — ابن زياد — لناخذ طريقنا الى من اعقبوه لكان من المتحتم علينا ان نذكر العالم الفقيه - محمد بن عبد السلام - صاحب الاثر الرائع في فقه مالك ، والامام محمد بن عرفه صاحب الاقوال الذائعة في هذا المذهب لانه أول من وضع حدود الفقه ، والعالم النحوي الجليل - ابن عصفور - الذي يطلق النحاة عليه — سيبويه الاصغر — وابي داؤد سليمان الجربي الذي تعتبر كتبه في المنطق حجة يركن المناطقة اليها مطمئنين

ابن خلدون

ومن حق - الزيتونة - ولا ريب ان تفاخر بانها الجامعة التي استطاعت ان تنجب للعالم الاسلامي عالما مؤرخا اجتماعيا رحالة ذائع الصيت في هذا كله ، ونعني به العلامة — ابن خلدون — ولقد حرص — الزيتونيين — على ذكراه حرص الضنين فأنشأوا قبالة الجامع مدرسة اطلقوا عليها اسم - المدرسة الخلدونية — وجعلوا منها مظهرا جديدا من مظاهر التطور الدراسي الذي انتهت جامعة الزيتونة اليه

مكتبتان

بقيت مظاهر الحياة الاولى على جامع الزيتونة ، تتحدث عنها تلك النقوش الكوفية التي تنتظم

(١) انظر المدارك

القبة القائمة على رأس المحراب وهي تقوش خطية تحدث المتطلع اليها عن ءاثار الاغالبة في طليعة القرن الثالث الهجري ، واذا كان الجامع قد خضع لطبيعة التجديد جيلا بعد جيل ، فان هذا التجديد قد اصاره مزودا بمكتبتين رائعتين ، احداهما وقد انشأت منذ قرن - وتدعى المكتبة الاحمديـة - تتألف من الوف الكتب التي وقفها عليها المقدس احمد باشا الاول ، وتغلب الكتب الخطية على هذه المكتبة، وهي من القدرة الى حد لا يهيىء لها في غيرها نظائر واشباه وهنا عني القائمون على الزيتونـة بامر المكتبة الاحمدية فهيأوا لها حشدا من الخزائن القائمة داخل الجامع واما المكتبة الثانية فانهـا تدعى - المكتبة العبدلية - وهي في تسميتها تنتسب الى مؤسسها - ابي عبد الله محمد الحفصي - احد امراء تونس من بني حفص وقد هيىء لها مستقرها في واحد من اورقة - الزيتونة - حيث يقبل المتـأدبون والطلاب اليها ليطالعوا فيها ما يحلو لهم من الكتب . . . التي لا تعار !

قـلب المدينـة

يتوسط جامع الزيتونة مدينة - تونس - وهو من المساجد المتأنقة المزهوة بما امتد على اديمها من البسط وما نثر على ذوائب عمدها من ثريات الكهرباء، ويرى التونسيون من الجيل الاسلامي الاول حتى الآن في - الزيتونة - ما يراه المصريون في الازهر فهم يقدرونه حق قدره فيحيون فيه ليالي رمضان وما اليها من مواسم واعياد، وانهم لينزلون راضين عن كثير من المال الذي تنتجه عقارات حبسوها عليه ووقفوها على القائمين بشعائره ومن هذه الاوقاف واليها سخاء الحكومة المطرد يؤدي جامع الزيتونة رسالته اداء لا خلاف على انه يغبط الذين يعنون باللغة والدين

سيـدات نـافعـات

والى جانب « الزيتونة » تقوم طائفة من البنايات الحديثة المزودة بالماء والكهرباء ليتخذها الطلاب « المجاورون » بيوتا لهم وهي بنايات اقامها في شتى العهود جمـاعة السراة في تونس ، وانه لمن مفاخر التونسيين حقا ان يكون منهم سيدات نافعات حريصات على البذل في سبيل العلم فقد شيدت احداهن - وهي من فضليات بني حمزة في مدينة المهدية - دارا جميلة جعلت منها مسكنا لعديد من طلاب الزيتونة

٣٧٠٠ طالبـا

ينتسب الآن الى جامع الزيتونة سبعمائة وثلاثة ءالاف طالب وهذا الجيش من الطـلاب موزع على « الجامع » وعلى « المدرسة الخلدونية » وعلى طائفة من المساجد في - تونس وفي « القيروان » وفي غيرهما من المدن وهذا التوزيع صورة من صور المعاهد الاقليمية التي تتبع الجامع الازهر في مصر

والدراسة في الجامع تقوم على الاسلوب الازهري القديم ولكنها في - الخلدونية - تتخذ لها اسلوب الازهر الحديث ومراحل هذه الدراسة سبعة اعوام في الزيتونة وثلاثة او اربعة اعوام في مساجد الاقاليم والشهادات التي تعطى من الزيتونة هي (التطويع) وهذه تعادل الكفاءة ، و (التمييز) وهي تعادل البكالوريا(١)

(١) شهادات الجامع ثلاث الاهلية - والتحصيل - والعالمية

باسم الطلاب

وطلاب الزيتونة هم الذين تعوذ اليهم الكلمة فيما يتصل بتعديل مناهج الدراسة، في ثلاثين عاما انشئت المدرسة الخلدونية لان الطلاب اخذوا يتطلعون الى عمل حاسم يوفر عليهم السعي في ظل منطق العصر الذي يعيشون فيه، ولما رأوا ان ـ الجامع ـ لن يكون مكانا لائقا للخرط الجغرافية او اللوحات الموضحة لعديد من العلوم الحديثة اخذوا يهتفون بانشاء مكان يدرسون فيه تلك العلوم واستجابت الحكومة التونسية النداء فانشأت هذه المدرسة لهم واثر كل خمسة اعوام تمضي يعمد الطلاب الى حركة عملية يوضحون فيها ءارائهم في المناهج، وما اليها مما يتصل بمصائرهم بعد ان يظفروا من دراستهم بما يريدون

حقوقيون

وعلى ان الحكومة التونسية تعترف بشهادات « الزيتونة » وتقر اصحابها على عديد من وظائف الدولة كالتدريس والقضاء فانها تمهد للمتخرجين في الزيتونة ما لم تمهد مثله حكومة مصر لعالم ازهري ذلك ان المتخرج في الزيتونة يستطيع ان ينظم نفسه في سلك الطلاب بمدرسة الحقوق

وزراء الدولة

واذا كان غير قليل من المصريين المتفوقين قد استهلوا مرحلتهم الدراسية الاولى في الازهر فان عديدا من الذين اصبحوا فيما بعد وزراء تونسيين قد استهلوا هم الآخرون عهدهم الدراسي في الزيتونة، بل انه يوجد من الذين اتموا تحصيلهم العلمي في ـ الزيتونة ـ رهط من قادة الشعب التونسي يحضرنا منهم الآن الشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ احمد بن الخوجة والشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد بن يوسف،

شيخ الزيتونة

وللزيتونة شيخ يقوم بمثل ما يقوم به شيخ الازهر في مصر، وله اعضاء من العلماء يعينونه على عمله الشاق ومكانته في بيئة الحكم وفي بيئات الشعب هي مكانة الصدارة وشيخ الزيتونة الآن هو ـ الشيخ صالح المالقي ـ

الاجانب والمساجد

أما بعد فانه يطيب لنا ءاخر الامر ان نسجل هنا ظاهرة لعل التونسيين هم الذين يتفردون بها وهي ان مساجدهم لا تفتح ابوابها للسائحين، فليس في مقدور أي اجنبي ـ غير مسلم ـ ان ينفذ اليها مهما يكن قدره وخطره .. (١)

اما في القاهرة فاسألوا جيوش الاجانب الذين يعج بهم الازهر وملء ايديهم مصوراتهم يلتقطون بها ما يحلو لهم من الصور، ثم يجعلونها في مواطنهم موضع تندر، او زراية او ما يطيب لك ان تقول،

مندوب (الجهاد)

---

(١) ولم يشذ عن ذلك الا مساجد القيروان فهي تفتح للسواح وعلى الاخص جامع عقبة الذي له المقام الاسمي في نفوس المسلمين وعسى ان نرى الحكومة لا ترخص للاجانب ذلك في المستقبل

الخيال في الادب العربى

بقلم احمد المختار الوزير

١

تمهيد

نصدر هذه الحلقة الدراسية الثانية باستعراض جملة قصيرة جامعة نقتبسها تحصيلا لحديثنا السالف في الحلقة الاولى التي خصصناها لدرس العاطفة في الادب العربي (١) فقد سبق ان قلنا ان العاطفة هي العنصر الاصيل لهذا الانتاج الذي نسميه الادب، بل هي اخطر عنصر يحتويه النص الادبي. اذ كلما قرأنا قطعة ادبية شعرية كانت ام نثرية، نشعر في دخيلة نفوسنا بثورة وجدانية. وتموج عاطفي. قد يكون طاغيا عنيفا وحادا قويا وقد يكون هينا ضعيفا سريع الركود والزوال. تلك حالنا في قراءة النصوص الادبية ودرسها. وانها لحال عجيبة تجعل لزاما علينا ونحن نعالج هذه البحوث النقدية. ان نسال هذه الاسئلة كيف استطاع الاديب الشاعر والناثر ان يحرك في نفوسنا هذه الهزات العاطفية، السارة والمؤلمة؟ وايضا ما الذي ساعده ومكنه من ذلك؟

وقد يكون من حقنا ان نتمادى في القاء هذا السؤال على كل صاحب فن من هذه الفنون المنعوتة بالجمال والطرافة، وبالظرف والابتكار، من حقنا ان نسأل المصور الماهر في صناعته كيف استأثر اعجابنا واستمالتنا الى النظر والتلهي بما عرضه على انظارنا فوق لوحه الحافل بالاصباغ والالوان المتجسمة الظل والضياء المظهرة حذقه البارع في محاكاة مظاهر الطبيعة ومشاهدها الماثلة امام بصره النافذ الى اعماق سرها العجيب؟ وان نسأل الموسيقار المبدع في تأليف نغماته والحانه، من تلكم التراجيع والاصداء، الصادحة الناطقة نطقا بليغ التعبير في كل همساته الضعيفة الخافتة وصرخاته العنيفة الحادة؟ وقل مثل ذلك في النحت والعمارة، السنا نشعر دون شك ونحن في مقام النظر الى طرف من هذه الفنون نظرا فاحصا بشيء قليل أو كثير من اللذة المريحة والسرور الطافح بالبشر والرضا، او بالالم الممض والكآبة والنفور؟ وهذا الشعور المختلف انما هو أثر من آثار ذلكم الانفعال العاطفي الذي أيقظته في نفوسنا بواعث الفن ومثيراته وفواعله

فالسؤال الذي نتلقى به الانتاج الادبي من الشعر والنثر هو نفسه الذي نتلقى به كل انتاج فني مؤثر يملك الحس والشعور بقوة تأثيره، وتلاحق بواعثه، ومحرضاته المغرية الفاتنة، وهكذا نسأل من جديد كيف أثار الاديب، والموسيقار، والمصور، والناحت، مكنون المشاعر والعواطف في نفوس القراء والسامعين والنظار على اختلاف اهوائهم وتباين نزعاتهم وميولهم ورغائبهم.

(١) انظر العاطفة في الادب العربي المنشورة ببعض اجزاء المجلد الثاني

ولو شئنا اختيار وضع آخر لهذا السؤال لكان لنا ان نقول : ان ميزة الفن العظمى وغايته السامية انما هي الالهام. والتأثير. ولكن ما مصدر ذلكم الالهام اللافظ الناطق وما سبب ذلكم التأثير السحري العجيب. الذي يغشي قلوبنا ببريق الوانه الخاطفة. وانواره المشرقة. وتستبد تيارات فواعله المكتظة المتلاحقة بما في قرارة نفوسنا من المشاعر والعواطف ؟ نسأل هذا السؤال ولو أن الذاكرة. تعيد للذهن في غير حرج او عناء بعضا من تلكم الاجابات الكثيرة المنوعة. التي جادت بها قرائح من كانوا يبذلون مدخر الجهد في اختيار أوضح تفسير وتأويل لحل ما في هذه القضية من الغموض. لابتعدنا كثيرا عن القصد. وانصرفنا انصرافا عن موضوعنا الذي توفرنا لدرسه وتحصيله

وخير لنا من كل ذلكم ان نكتفي بهذا الجواب الذي يقوم على أساس وطيد من قواعد علم النفس ارتاح اليه النقاد المحدثون. وليس ينكره النقاد المتقدمون. ولا من يسلكون سبيلهم في الدرس والنقد. وفي التعليل والتوجيه. وجوابنا هذا ربما كان ادعى الى ثقة الاعتقاد وسكينة الاطمئنان من كل جواب غيره. ولكن لابد لنا قبل البدء في الاخذ بتاصيله وتفصيله. ان نمهد له بذكر كلمة وجيزة عن الفارق بين العلم والفن. تدنينا من القصد وتسهل علينا الاستفادة والنفع

العلم والفن

وايسر الفروق الظاهرة بين العلم والفن. هي هذه الفروق التي نعثر عليها في فصول تعريف العلم. وفي مصطلح تعريف الفن

العلم

فالعلم ظاهرة عقلية تنشأ عن دوام البحث والتنقيب. وعن النظر الفاحص. والاستقصاء الشامل وعن التجربة والاختبار. واطراد الاسباب والعلل مع حدوث النتائج. الصادقة الثبوت. وغاية العلم فكرية تعليمية. ترمي الى تحديد المعاني. وكشف الحقائق الثابتة التي لا يختلف الناس في فهمها. والانتفاع بها. والتي تزود العقل البشري بما يزيل الجهالة وينفي الغباوة. ويشجع ويعين على استقبال الحوادث. وممارسة الحياة في غير ما فزع او اضطراب. ولغة العلم تعتمد دقة التصوير. وبساطة التعبير. ولها بقدر اتساع دائرة العلم اوضاع اصطلاحية خاصة. تنحصر دلالتها في حدود المعنى المراد. والحقيقة الواقعة.

الفن

اما الفن : فهو نقل الاثر الذي يحدثه التأمل العميق. في مظاهر الطبيعة والحياة. وخفايا ما في هذا الوجود ، من غيب النفوس واسرار القلوب ، واظهاره في شكل مبتكر طريف فالفن كما ترون ظاهرة شعورية ، تنشأ عن قوة الحس ، وانتباه الخاطر ، ووفرة الشعور ودقة الملاحظة ،

وغايته الالهام التهذيبي من طريق اثارة الوجدان . وبعث الشعور السامي . والاحساس النبيل . والوسيلة الى ذلكم تختلف باختلاف الفنون . وان كانت في جملتها ترجع الى سبب واحد هو هذا السبب الذي نحاول درسه وشرحه معتمدين في بحثنا على احدث نظريات علم النفس . واراء أعلام النقد الادبي من المحدثين الذين ما زلنا نتلقى عنهم انفع الدروس واصح البحوث . وما زلنا نستهدي برشاد هديهم فيما نحن بسبيله من درس هذه الاداب العربية التي نحاول مخلصين ان نبلغ بها المقام المحمود . وأن نصل بها الى أبعد غاية في الرفعة والكمال .

تحصيل نظريــة علم النفس

اما نظرية علم النفس في بيان الوسيلة التي يثير بها الفن هزات الشعور السارة . او المؤلمة . فنلخص ذكرها فيما يلي . ثم نتبعها بما يوضحها ويفسرها من الامثلة والشواهد التي تؤكد لنا صدق النظرية من جهة . وتجدد نشاطنا ورغبتنا في الاستمتاع بلذة الفن من جهة أخرى .

وأمثل طريقة لتحصيل هذه النظرية أن نعرض بالدرس لطبيعة هؤلاء الذين نسميهم بحق عباقرة الفن . وعشاق الطبيعة المعاميد . من كل شاعر . وكاتب . وموسيقار ومصور . وناحت . فاننا اذا ما تعرفنا بوجه صحيح بعض ما امتازوا به من الخصائص النفسية . والفكرية . أمكننا أن ندرك من خلال ذلكم الوسيله التي يعتمدونها في التبليغ والالهام . وأثارة الحزن أو السرور وهكذا نلم بعض الشيء بمعاني النبوغ . وما فيه من جهد وغناء .

المـوسيقار

فالموسيقار كلف بهذه الاصوات الهاتفة والهمسات الناطقة . والصرخات الراغية . يطيل السمع وتلطف ذاكرته الصوتية كل هـذه النغمـات الشاردة في فضاء الطبيعة ويعي ما يسمع من زقزقة العصفور . ونوح الحمام . ودمدمة النحل . وحفيف الاوراق وتغريد البلابل . وخرير الجداول . يسمع جلجلة الرعود القاصفة ورجيفها . وولولة الرياح العاصفة وترنيمها . يسمع عجيج البحار الطاغية وضجيجها . وهينمة الانفـاس وكل أنة وحنة وزفرة . يسمع هذه الاصـوات وغيرها من النغمات الشجية التي توقعها الطبيعة على أوتار خفية . ثم هو ما يزال يستذكرها . ويستعيدها . ما يزال مشغولا بها ينقلها ويقلدها ويحاكيها . ولكنه يضيف اليها ويهذبها . ويلائم بينها ثم لا يلبث أن يهتف بها صادحا مغنيا . فتخرج للناس معبرة عما في نفسه وقلبه وعقله .

المصـور

كذلكم المصور الحاذق يعنى عناية كاملة بهـذه الاشباح والاطياف والهياكل . والاودية المترامية السهول والوهاد . والجبال الساهمة في الفضاء الى أعالي السماء . يحب المروج والحقول والجنات اليانعات ويهوى الصحاري والبراري والغابـات . وينظر بعينيه وقلبه نظرة فاحصة منقبة عميقة متأثرة الى كل

هـذه الالوان المتشاكلة ، وغير المتشاكلة ، والمتشابهة وغير المتشابهة ، المرسومة على اجنحة الطيور ولفائف الزهور ، وعلى سفوح الجبال حيث الجنادل والصخور ، وعلى حاشيـة الافق المجلوة حيث يمتد الشفق الزاهي ، وحيث تقيم الطبيعة محرابها القدسي من قوس قزح فتبدو للناظرين هالاته موشحة بالرائع الجميل من الالوان والاصباغ الخاطفة اللامعة ، يصعد بصره الى قلب هذه القبة الزرقاء فيرى ما يتهـادى في مسراحها من نور النجوم السارية ، والكواكب الساهرة ، ويرى البدر في لياليه الحافلة بما يرسله على الكون السـاكن تحت اجنحة الليل من شعاعه الباهر وضيائه الحائر ، ثم لا يلبث ان يصوب نظره الى هذه البحيرة الساجية الساكنة ، فيرى ما يرف على صفحتها اللامعة من الاطياف والاشباح المترقصة مع الظل في خفة ونشاط .

كذلكم يستجلي المصور كل هـذه الالوان وقلما يراهـا ولا تتجسم معانيها وخيالاتها في فضاء روحه ، وصفاء خاطره ، ولمعان ذهنـه ، ففي البياض الباهت معاني الطهر ، والصدق ، والمحبة ، والاخلاص وفي زرقة البنفسج معاني الذهول والرحمة والترفق الحادب ، والعطف الشديد ، وفي الاحمر المشبوب لمحات القوة والعذاب ، وفي الاسود الطامس ذكريات الاتراح والكآبة والحزن واليأس الثقيل .

ومن خاطره الحافل بخيالات هـذه المظاهر والمعاني الواضحة ، يستمد أشكال الصور ، ويبدع ما شاء وشاء له الفن في تأليفها ، وتنسيقها كل الابداع ، وقلما ينقصه شيء ثم لا يجد لـه من مادة خياله الخصيب ما يكمله به على خير وجه بداعة ، وانسجاما ، وفتنة وجمالا ، وليس يرضى المصور الماهر أن يختار الجميل الذي يستحليه ، والحسن الـذي يرتضيه ، من مناظر الطبيعة ومشاهدها ثم ينقله فوق لوحه ، ولا يزيـد اذ ان هبـة الفن تسمو به وتنزه عمله عن أن يكون نسخا قاصرا ، ونقلا مجردا ، وتدعوه ملحة الى الخلق والابداع والابتكار ، (وربما نقل الجبـال عن الطبيعة فلا يلبث أن ينسفها نسفا ويدكها تبديلا وتغييرا في سبيل الاتقان والاجادة) .

فالمصور يلتقط بعينيه من رسوم الطبيعة كل حسن وجميـل ، ثم يتصور « الجمال » في خياله ، ويفتن في تكميله ، ثم يتناول الريشة واللوح ، ويبذل ما يبذله من الجهود في محاكات ما يستحضره في مسارح خياله ، وما يتجلى بخاطره من تلكم المعاني القدسية البالغة نهايـة الكمال في الفتنة والجمال ، ولو كنت في مقام أطالب فيه ، بالبرهان واستحضار الدليل على صدق هـذه القضايا ، لاخترت حديث « جيدو » ذلكم المصور الذي ملأ حديثه الدنيا وطبقت شهرته الافـاق ، اذ قـال عن نفسه وكان يرسم الرسوم في كنيسة الراهب ميخائيل في رومة « وددت لو كان لي جناحا ملاك اطير بهما الى السماء ، لارى رئيس الملائكة ، واعود فأرسمه كما هو ، واذ تعـذر علي الصعود ، والفيت البحث عن نظيره في هذه الدنيـا من باب العبث الباطل ، رجعت الى مخيلتي ومثال الجمال المتجلي فيها ورسمت ما رسمت ، ولم ينقصني شيء . . »

(للبحث بقية)

احمد المختار الوزير

ايطاليا في طرابلس برقة

الى الامة العربية والعالم الاسلامي بصفة عامة والى رجال الدين والعلماء والخطباء منها خاصة ايطاليا تنتهك حرمة بيوت الله فتطرد المصلين منها • وترغم الهيئة الشرعية على اعتناق الجنسية الايطالية

كان يوم الخميس الواقع في ١٨ فيفري الحالي يوم حزن في طرابلس اذ انتهكت فيه حرمة المساجد. اذ عمدت حكومة الطليان الى جلب عدد من الالمانيين السواح في طرابلس يصحبهم جماعة من الطليان ويصحب الجميع سليمان باشا قره ملي الى الفرجة على جامع الباشا وصادف ذلك فريضة صلاة المغرب وكان المسلمون اذ ذاك متهيؤون للصلاة فاطردهم الحاكم الايطالي وامرهم بان يصلوا خارج الجامع وقد وقع ذلك بصفة لا يمكن لاحد ان يعارض فيها وذهب المصلون اشتاتا ودخل الضيوف للجامع ! ! انظروا ايها المسلمون الى اي حد بلغ استهتار الطليان واستخفافهم بالاسلام والمسلمين انظروا واسمعوا ايها العلماء ورجال الدين عواقب سكوتكم وجناية تكاسلكم على الاسلام

ان بقية أهالي طرابلس المسلمين المهاجرين سيعيشون مبعثرين في مختلف الاقطار وسيعيش الفريق الباقي منهم داخل طرابلس في أرضها لكن سيعتنق الديانة المسيحية ويتمذهب بالفكرة الفاشيستية لان الظروف والوسائل التي نفذت في الاندلس كمحاكم التفتيش وغيرها ها هي تنفذ اليوم في اخوانكم الطرابلسيين بل بصفة اشد وامر وان اختلفت الاسماء ففي الاندلس كان اذ ذاك في امكانهم الفرار والهجرة اما في طرابلس اليوم فهذا مستحيل لا على طريقة قانونية ولا على طريقة لصوصية لما اتخذته ايطاليا من الاحتياطات وفي الاندلس نصبت محاكم تفتيش يمكن معها التفكير سرا. اما في طرابلس فقد جعل الطليان ضروريات الحياة للمسلم بعد سلبه من كل شيء غير ممكنة الا بالتجنيس والا فلا رزق ولا معيشة ولا احترام على أن المسلم المتظاهر بالتدين في طرابلس أصبح كالكرة تتلاقفها ارجل السيارات بارادة سائقيها من الطليان بدون ان يهتم الفاعل بفريسته ولا تحيره جنايته الشنيعة وكانه داس خنفساء لم يقع عليها نظره بل يرى أنه داس عقربا مؤذية. لمن نشكوا هذا يا رب قد بح الصوت وفقد النصير وعظمت البلوى واشتد الكرب . انا لله وانا اليه راجعون.

وا محمداه دينك أخذ في التقهقر واتباعك تخاذلوا وتكاسلوا فاوطانهم اغتصبت وأملاكهم نهبت وارواحهم زهقت واشلاؤهم تبعثرت ولغتهم احتقرت ولا يلبي بعضهم بعضا ولا ينجد أحدهم الآخر انها حالة اسيفة ومصير محزن وتخاذل مشين

لما رأته حكومة الفاشيست من تمسك المسلمين بدينهم رغم ما اتخذته ايطاليا من التدابير عمدت

اخيرا الى الهيئة الشرعية تطالبها باتخاذ الجنسية الايطالية كما استدعت جميع العلماء والاعيان وطالبتهم بذلك وقد بلغنا ان بعض اعضاء المجلس الشرعي استقالوا من مناصبهم ولم يقبل احد بذلك الا ان الحكومة هددتهم تهديدا مرعبا ان لم يمتثلوا ويقال ان شخصية اقدمت على هذا الامر تحت عوامل التهديد والوعيد والانذار الصارم

ان قضية طرابلس برقه اليوم أصبحت قضية دينية بحتة لانها قد اجتازت حدود السياسة وجميع الحقوق المدنية . أتعلمون ايها المسلمون ما هو قصدنا الذي نطالب به . هو أننا نريد البقاء ضمن الامة العربية ولنا ذاتية وميزات والمحافظة على ديننا ولغتنا . والايطاليون يريدون محو ديننا من قلوبنا ومحق لغتنا وصبغ ارضنا بالصبغة الايطالية الفاشيستية . فنحن جاهدنا لاجل ذلك ونجاهد بجميع الوسائل الى ان نلقى الله تعالى . وهم آخذون في تنفيذ اغراضهم فمحوا كل ما يقال له عربيا . وها هم الآن اجهزوا على الدين واللغة لمحوهما من قلوب اهلهما وسيتوصلون الى ذلك ما لم يجدوا من الاسلام قوة ترجعهم عن غيهم ان كان توجد للاسلام قوة في هذا الوقت والا فعلى طرابلس وأهلها السلام وعلى بقية الشمال الافريقي انتظار دوره .

يا رجال الاسلام يا من تتغنون بالوحدة العربية والجامعة الاسلامية . فان لكم ارضا يقال لها طرابلس برقه هي من افريقيا في الوسط ومن العروبة في الصميم ومن الاسلام في الذروة قد سلبت من ايديكم واخذت ترسل لها ايطاليا افواج الجائعين ليملؤا بطونهم الخاوية من خيراتها ويكسوا اجسامهم العارية من رزقها وليشتتوا العرب الذين هم اهلها ولكم فيها دين اسلامي اصبح محتقرا مهانا فهو الآن في طريقه راجعا الى المدينة المنورة حيث قبر صاحبه صلى الله عليه وسلم فان لم تسرعوا الى تطمينه واثباته فهو راحل لا محالة . وانتم المؤتمنون عليه فاتقوا الله في واجبكم . ولكم لغة عربية في طرابلس سيقضى عليها وتصبح في خبر كان .

(فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون) واحسرتاه على الاسلام والمسلمين تلقت طرابلس برقة ثلاث صدمات في ثلاثة اشهر متواليات - اعلان الحاقها بايطاليا رسميا وفرض التجنيس الفردي توطئة لازالة الاسلام من قلوب اهله وبعث عشرات الالاف من زعانف الطليان لاحلالهم محل المسلمين توطئة لاقرار خمسة ملايين منهم في ارضها حتى لا يمكن للعرب والمسلمين في المستقبل ان يقولوا بلادنا . يقع كل هذا في طرابلس برقة وفي تونس التي هي الهدف الاول لايطاليا بعد طرابلس في يوم من الايام هذه الداهية الدهماء والكارثة الكبرى وفي تونس ايمة يعظون المسلمين في المساجد وتجتمع حولهم العامة والخاصة فلم يخطر ببال احد منهم ان يلقي على مستمعيه كلمة في هذا السبيل يشرح لهم بها ما اصاب دينهم ووطنهم واخوانهم في طرابلس اسوة بزملائهم في الاقطار الشرقية وها انني اضع هنا نبذة من مقال نشره الاستاذ مصطفى حسني السباعي في مجلة الفتح . في موقف سوريا من كارثة فلسطين التي لا تقاس على كارثة طرابلس فيما اظن يقول الاستاذ مصطفى : وقصارى القول ان السوريين وقفوا من فلسطين موقفا مشرفا وهم يعطفون على جهادها عطفا قويا عمليا ويتبعون اخبار الفظائع بألم عميق والفضل الاكبر في هذا الاهتمام يعود الى العلماء والخطباء اولا والى الصحافة ثانيا . فلا تخلوا صحيفة من ذكر فلسطين والحث على تاييدها

بحرارة واخلاص كما لا تخلو خطبة ولا درس في مسجد من الهاب الشعور الديني في نفوس العامة حتى صار ذكر فلسطين على لسان الخطيب او المدرس كافيا لاستدرار العبرات واثارة الشعور) ذكرنا هاته الكلمة لورود ذكر العلماء والخطباء فيها اما في تونس والمغرب كله فاذا استثنينا المجلة الزيتونية والصحافة التونسية وصحيفة واحدة جزائرية هي البصائر . التي قامت بقسط لا باس به من واجبها فليس هناك حركة شعبية في الشعور العام فها اننا نكتب اليهم النداءات وننشر اليهم ما يقع فلم يتجاسر احد من رجال الدين والعلم على رفع قلمه ليقول لبيكم لبيكم مع ان ساداتنا العلماء هم اعرف الناس بقوله تعالى (ان الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض) ويقول (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وقوله جل شأنه (والذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) .

أ ترضون باستيلاء اعداء العرب والاسلام بصفة خاصة واعداء الانسانية بصفة عامة ان يستولوا على قطعة من ارضكم ويمحقوا فريقا من جنسكم ويعبثوا بتقاليدكم ودينكم وانتم تنظرون ولا تتحركون وتسمعون فلا تجيبون وتنادون فلا تلبون وتعلمون فلا تعملون . ألم تعلموا ما وقع في طرابلس برقة وما هو واقع في اخوانكم هناك من الضغط والارهاق والاذلال والاحتقار . اين انتم يا رؤساء الشريعة السمحة ويا خطباء المساجد الفصحاء ويا مدرسي العلوم يا ايها الاباء الروحيون لآلاف من الشبيبة الاسلامية ما هي حجتكم امام الله وماهو جوابكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يسألكم عما فرطتم فيما امركم به . أتقولون له اننا خشينا سطوة الاعداء . الجواب : فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين . ويقول لكم صلى الله عليه وسلم اني قلت لكم : (ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب)

ان ربكم الذي جعلكم خلفاء في الارض واختار لكم الاسلام دينا يريد منكم ان تكونوا عمليين مدافعين عن هذا الدين الحنيف وهو يناديكم لذلك بصريح العبارة في قوله جل وعلا « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » « وجاهدوا في الله حق جهاده » . يا ورثة الانبياء ما كان في يوم من الايام الانبياء الذين انتم ورثتهم ينظرون الى الدين يهان واللغة تطرد من ربوعها واتباعهم ترغم على الردة كرها وهم ساكتون لا يتحركون بل كانوا دائما فاتحين مبشرين . فها اننا ناديكم ونستصرخكم ايها المسلمون فتعاونوا معنا وانجدون وقوموا بما فرضه الله عليكم ولا تبخلوا باموالكم وانفسكم وابذلوا كل نفس ونفيس في سبيل المحافظة على دينكم وارضكم وقوميتكم بكل ما اوتيتم من قوة وستجدون عند الله الجزاء الحسن لانه لا يضيع اجر المحسنين

اننا حقا والله اليوم اصبحنا في الحالة التي وصفنا بها النبيء الكريم صلى الله عليه وسلم (يوشك أن تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها . فقال قائل أ من قلة نحن يومئذ قال صلى الله عليه وسلم لا بل انتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل الحديث . وها نحن في هاته الحالة لم نستطع حتى دفع الاعتداءات المتوالية علينا في ديارنا ونستنجد ببعضنا فلا نجد ونادي بعضنا فلا يلبي احدنا اخاه ويا للاسف مع ان مولانا الاعظم يقول المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ويقول من فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كبرب يوم القيامة . وقال : المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

احمد زارم الطرابلسي

في موكب

رابع عيد الاضحى

الفريدة العصماء التي القاها شاعر البلاط الملوكي شيخ الادباء الاستاذ العربي الكبادي بين يدي الحضرة العلية في موكب رابع عيد الاضحى تهنئة للامير بالعيد السعيد

أعد ذكر سلع والحطيم وزمزم — وشنف به أذن المشوق المتيم
وان جزت بالبيت العتيق فقل له — الا انعم صباحا أيها البيت واسلم
فتاسيس ابراهيم يكفيه أنه — زيارته فرض على كل مسلم
رعى الله ذياك المقام ومن به — اقام واقصاه على كل مجرم
منازل وحي شرف الله ارضها — وقرر في أرجائها خير موسم
الى مثلها شد المطي أخو الحجا — ولم يلهه حب الرباب وتنعم
رأى طاعة الرحمان اربح متجر — وزورة بيت الله أكبر مغنم
فلم تعتنق أجفانه طيب الكرى — ولم تكتحل بالغمض خوف التندم
اذا فاتها ما نال كل مشمر — من القرب والقربى ومحو التأثم
الا ليت شعري والحوادث شانها — معاكسة الآمال من كل مغرم
أأبلغ هاتيك البقاع واجتلى — محاسنها قبل الحمام المحتم
وادعو الى المولى الذي فيض كفه — اعاد الى الخضراء عهد التنعم
فقد أصبحت في عهده جنة الدنا — ونالت به الآمال من غير مغرم
يحن لها من زارها وهو ان نأى — يفارقها كرها فراق متيم
وما ذاك الا العدل قد صان ربعها — فباتت ولا تخشى اغارة ملجم
فبالعدل تسييج الممالك كلها — ومفخرها الاسنى ونيل التقدم
لذاك ترى العمران قد عم تونسا — وصير ذكراها كما الشهد في الفم
وفاض بها العرفان في كل بلدة — ولولاه لم تذكر ولم تتكلم
بفضل الذي ساس الامور بحكمة — سياسة شهم للتدابير محكم
مليك حباه الله مجدا مؤثلا — وخص علاه بالمقام المفخم
وقد أخلص التقوى الى الله ربه — فلم يتصف يوما بظلم ومأثم
تخصص بالفعل الجميل وعما — بفضل جزيل فات حد التوهم

فلذ بحماه ان جفا الدهر واعتدى تجد فوق ما ترجوه من خير مكرم
مناقب لو نال النجوم ضياؤها لما كان من ليل على الناس مظلم
وهل كابي العباس في الناس من له مع الملك أخلاق لها الحلم ينتمي
سمعنا بمعن في السماحة والندى كذا بابن قيس في ضروب التحلم
فادهشنا ما حدث الناس عنهم وقد اقسموا عن صدقهم كل مقسم
فلما اتى هذا الامير تيقنت نفوس الورى صدق الحديث المنمنم
وما ذكروا من فضلهم بعض ما نرى لدى ملك ساد الورى بالتكرم

❋ ❋ ❋

أأحمد هذا العيد قد يمم الحمى ليلثم كفا انقذت كل معدم
اتى بعد عيد الفطر يختال ناشرا برود التهاني والسرور المعمم
يصاحبه مستانسا هامر الحيا فيشفي فؤاد الخائف المتألم
تلفع في أيامه جو ارضنا بثوب من السحب الثقيلة أسحم
ترى الشمس تبدو تارة ثم تختفي كحسناء بين الانجلا والتكتم
وقد لمع البرق الخفوق كانه فؤاد جبان او كجذبة لهذم
فطابت به آصالنا وغدوننا وفزنا بحظ لم يكن بالمرجم
وغنت على غصن السرور طيوره فجادت على اسماعنا بالترنم

❋ ❋ ❋

أمولاي هذا الوفد قد جاء مثلما تعود سعيا للجناب المعظم
لتقبيل كف دابها كفها الاذى عن البائس العاني حليف التبرم
واظهار ما تخفي القلوب من الولا بجو من الاخلاص والود مفعم
فانتم مصابيح تنير لقاصد سبيل الهدى والحق دون تجمجم
وانك بحر يقذف الدر موجه لراج توخاه وليس بمرزم
ومن قال ان القطر يحكيك لم يصب ودعواه لم تنظر بغير التجهم
فذلك يعطي عابسا ونوالكم يقارنه للطف عذب التبسم
لقد زاد عيد النحر حسنا وبهجة على الفطر في ظرف به الانس يحتمي
فما راعنا ما راع بالفطر قبله بما نال من علياكم من تألم
لذلك اولته الولاء نفوسنا ولم يك فينا بالثقيل المذمم
فدم سالما للملك تكسوه عزة باحجام ذي عقل واقدام ضيغم
لك الدهر مطواع بما انت راغب لسدتكم يرنو بالحاظ معظم

مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين

ان جمعية الحرمين الشريفين التي تعقد في كل عام جلسة عامة في احدى عواصم الشمال الافريقي الثلاث - تونس والجزائر والمغرب الاقصى - قد عقدت اجتماعها في هذا العام بالبلاد التونسية - وبهذه المناسبة فقد احتفلت بلادنا احتفالا عظيماً بمناسبة قدوم الوفدين المغربي والجزائري اللذين إشتمل كل واحد منهما على نخبة من اعيان العلماء والفضلاء بالقطرين الشقيقين ، وقد كان عدد القادمين في هذا العام اكثر من المعتاد . وكان الوفد المغربي تحت رءاسة فضيلة العلامة الجليل الشيخ سيدي محمد الحجوي وزير المعارف بالمغرب الاقصى ومعه اعيان من فقهاء المغرب الاجلاء ، منهم الشيخ محمد العربي الناصري والشيخ احمد سكيرج (الشاعر المكثار) - وكان الوفد الجزائري تحت رءاسة الفاضل الماجد السيد بوعزيز بن قانه شيخ العرب بالقطر الجزائري ومعه نخبة من قضاة الجزائر وعلمائها ووجهائها - منهم الشيخ محمد بن ساسي قاضي قسنطينة والشيخ المولود بن الموهوب مفتيها (الذي بلغ الاسماع بواسطة المذياع) وكان بصحبة الجميع حضرة السيد قدور بن غبريط رئيس الجمعية وقد عقدت الجمعية جلستها الرسمية على الساعة العاشرة من صبيحة يوم الاثنين في ١٢ شوال وفي ٥ ديسامبر الفارطين في دار الباي في بيت الوزير الاكبر ، تحت رءاسة صاحب الدولة جناب المولى الوزير الاكبر للدولة التونسية سيدي الهادي الاخوة ، وبمحضر الوفدين المغربي والجزائري وجميع الاعضاء التونسيين وفي مقدمتهم اصحاب الفضيلة مشايخ المجلس الشرعي وهم شيخا الاسلام سيدي محمد بن يوسف وسيدي محمد الطاهر ابن عاشور والمشايخ المفتين سيدي محمد العزيز جعيط وسيدي بلحسن النجار وسيدي علي بن الخوجه وسيدي محمد المختار بن محمود والقاضي الحنفي سيدي محمد دامرجي والقاضي المالكي سيدي الطيب سياله .

وقد افتتح الجلسة جناب المولى الوزير الاكبر بخطاب بليغ رحب فيه بالضيوف الكرام . وتعرض لبعض اعمال الجمعية واثنى على رئيسها الفاضل وختم خطابه بالدعاء لصاحبي الجلالة ملك تونس سيدنا احمد باشا باي وسلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف - وبعد انتهائه وقف رئيس الجمعية جناب الوزير المفوض السيد قدور بن غبريط واعتذر عن القائه خطابه بنفسه واناب عنه الشيخ جعفر الناصري فالقى بالنيابة خطبة الرئيس وقد اشتملت على بيان تاريخ تأسيس هاته الجمعية والادوار التي قامت بها ، ثم تعرض لتحديد موضوع الجمعية ، فذكر انها لا دخل لها في احباس الحرمين الموجودة بالاقطار الثلاثة ، وانها لا تتصرف في شيء من اموال الاوقاف المذكورة ، وانما سميت جمعية احباس الحرمين لانها تملك عقارا في مكة موقوفا على الحجاج وتنوي ان تملك عقارا مثله في المدينة

وبعد الانتهاء من الخطاب المذكور عرض الرئيس ميزانية الجمعية قبضا وصرفا . فكانت خلاصة ذلك ـ ان المداخيل (الصوابر) فرنكات ٠٠«٤٠٩٠٠٠ وان جملة المصاريف فرنكات ٠٠«٤٨٣٤٠٠ ـ وان جملة ما يصرف على جامع باريس من ارزاق للايمة والمؤذنين وما يتبع ذلك فرنكات ٠٠«١٠٩٠٠٠

ثم تعرض لبيان الاعمال التي يقوم بها جامع باريس لفائدة عموم المسلمين فهو زيادة على كونه يجمع شمل المسلمين عند اداء الصلوات لا سيما في يوم الجمعة ـ فانه يكفل الاموات ويتولى حفظهم وغسلهم وإيصالهم الى مقرهم الاخير في المقبرة الاسلامية الكائنة في ضواحي باريس في جهة (بوبنيي) وان جملة الاموات الذين تولى امرهم الجامع اثناء عام ١٩٣٨ عددهم ١٨٠ منهم ١٤٠ من الجزاير و٢٠ من المغاربة و٢ من تونس و٥ من مصر و٣ من ايران و٣ من السنغال و٢ من العراق و٣ من التونقان و١ من تركيا و١ من اذربيجان ثم تعرض للدروس التي تلقى بجامع باريس ـ وللاعانة التي قررتها الجمعية لتنشيط حركة التاليف بالاقطار الثلاثة ـ الى غير ذلك من الاعمال التي قامت بها الجمعية والتي تسعى لتوسيع نطاقها عندما تتسع ميزانيتها .

وبعد الانتهاء من ذلك الفت الشيخ محمد المختار بن محمود نظر الجمعية ورئيسها بالخصوص الى مسئلة تنظيم باخرة الحجاج ووجوب الاعتناء بها حتى يكون الحجاج في راحة تامة اثناء سفرهم لبيت الله الحرام . وذلك لان الحجاج قد تشكوا في العام الماضي من المعاملة السيئة التي وقعت لهم على ظهر الباخرة سينايا . ومن الاتعاب الشديدة التي قاسوها . وايده في ذلك الشيخ محمد الحجوي والشيخ المولود ابن الموهوب وغيرهم من الحاضرين . فاجاب الرئيس عن ذلك بان الخلل الذي وقع في العام الماضي سيقع تداركه في هذا العام بحول الله وسيقع بذل الجهد في السهر على حفظ راحة الحجاج . وسيقع التفاهم مع ملتزم الباخرة في تطبيق ذلك . لا سيما والجمعية سترسل نائبا عنها مع الباخرة تكون وظيفته مراقبة معاملة الحجاج وابعاد الاذى عنهم . ووعد بان يحضر بنفسه عند خروج الحجاج من تونس

واثر ذلك دخل الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتتاني واهدى للضيوف نسخا من سفره الازرق المسمى (النفحة الندية في الرحلة الاحمدية) والقى قصيدة في تحية المؤتمر . ثم انفض الاجتماع . واخذت صورة للحاضرين في صحن دار الباي .

وقد وقعت عدة اقتبالات للضيوف الاجلاء من طرف اعيان التونسيين نخص بالذكر منها المائدة التي اعدها جناب المولى الوزير الاكبر بنزل (دار زروق) بسيدي ابي سعيد والمائدة التي اعدها فضيلة مولانا شيخ الاسلام المالكي سيدي محمد الطاهر ابن عاشور بسانيته في المرسى . والمائدة التي اعدها جناب المقيم العام في السفارة الفرنسية والمائدة التي اعدها سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية ومؤرخ المجلة الزيتونية في نزل (تونيزيا بلاص) والمائدة التي اعدها امير الامراء سيدي محمد سعد الله مدير الاوقاف بمطعم بغداد

وقد لاحظنا ان فقهاء تونس لم يشاركوا في هاته الاحتفالات التي اقيمت للضيوف الا الحفلة التي وقعت في دار شيخ الاسلام حيث استدعى لها بعضهم (لا كلهم) ـ واذا كان السبب في ذلك ظاهرا بالنسبة للحفلات التي اقيمت في الفنادق فما هو السبب بالنسبة للاحتفالات التي اقيمت في المحلات الخاصة ؟ وقد قضى الزائرون الكرام بعد ذلك اياما سافروا فيها لبعض الجهات بداخل المملكة . وتاملوا في معالمها . وافتتنوا بمباهجها . ثم رجعوا بسلامة الله الى اوطانهم .

رئيس قلم تحريرها :
محمد المختار بن محمود
المفتي الحنفي
بالديار التونسية

صاحب المجلة ومديرها :
محمد الشاذلي ابن القاضي
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :
ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :
نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
ممضاة من امين المال
محمد الهادي ابن القاضي
والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس